

إلي

فوائد مستنبطة من الستة الأصول العظيمة

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

تأليف فضيلة الشيخ

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية سابقاً



تليفون : ٠٦-٧٤٤٤٤٣٥ / فاكس : ٠٦-٧٤٢٤٠٩٤
ص.ب : ٢٠٢٨٨ - عجمان - إ.ع.م
E-mail : furqan1@emirates.net.ae
www.furqanalsalafia.com

تنبيه ذوي العقول السليمة

إلي

فوائد مستنبطة من الستة

الأصول العظيمة

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

تأليف فضيلة الشيخ

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية سابقاً



المركز الرئيسى

الإمارات العربية المتحدة - عجمان، ص.ب: ٢٠٢٨٨

هاتف :٧٤٤٤٤٣٥-٠٠٩٧١٦ فاكس : ٧٤٢٤٠٩٤-٠٠٩٧١٦

E-mail : furqan1@emirates.net.ae

الموقع على شبكة الإنترنت www.furqanalsalafia.com

فرع الشارقة : هاتف وفاكس : ٥٦٢٦٣٣٦-٠٠٩٧١٦

فرع المدينة المنورة : شارع الملك عبد العزيز النازل

هاتف:٨٣٩٧٠٠٣-٠٠٩٦٦٤-الجوال :٢٥٩١٤٦٧-٠٠٩٦٦٥

فرع مصر : القاهرة - عين شمس هاتف : ٠١٠٥٦١٨١٧٩



تنبيه ذوي العقول السليمة

إلى

فوائد مستنبطة من الستة

الأصول العظيمة



الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمـــد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا وســـيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَـــا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَـــا وَبَـــثَّ مِـــنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَـــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧١).

أما بعد:

فهـــذه تعليقات مختصرة على الرسالة النافعة[١] التي هي بعنوان ستة أصول

---

(١) راجـــع مؤلفات المصنف في العقيدة والآداب الإسلامية ١/ ٣٩٣إعداد عبد العزيز بن زيد الرومي وآخرين.

عظـــيمة مفيدة لمجدد الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ سميتها:

تنبيه ذوي العقول السليمة إلى فوائد مستنبطة من الستة الأصول العظيمة

وكانـــت تلك التعليقات والفوائد قد تَمَّ إلقاؤها على الطلاب في مسجد الجابـــري بالمديـــنة ثم بعد ذلك ألح علينا بعض الإخوة أن نأمر بعض تلامذتنا بتفريغ تلك الدروس من الأشرطة ومن ثم عرضها علينا تمهيداً لنشرها فأجبناه إلى طلبه وأمرنا بعض طلابنا بالاستماع إلى الأشرطة التي حوت شرحنا لتلك الأصـــول وتفريغها، وبعد أن تم ذلك قمت باستعراض المفرغ وأجريت عليه تعديـــلا، وقـــد شمل هذا التعديل حذف ما لا يحتاج إليه وإضافة ما هو أفضل منه.

ولعلك أيها القارئ الكريم تدرك من خلال العنوان أن هذا البحث لم يكن شـــرحا مفصلا لما احتوته تلك الرسالة؛ ونحن عازمون إن شاء الله في الطبعات القادمـــة عـــلى شـــرح تلك الأصول بالتفصيل والله نسأل أن يجعل الأعمال والأقوال خالصة لوجهه الكريم.

كتبه:

عبيد بن عبدالله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية.

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاعلى الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحق المبين وقيوم االسموات والأراضين وأشهد أن محمد عبده ورسوله ومصطفاه الأمين وسيد ولد آدم أجمعين ﷺ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا على مر الايام والليالي والسنين.

أما بعد.

فإنه منذ سنين مضت قد منَّ الله علينا بتدريس هذا الكتاب العظيم المبارك ستة أصول عظيمة لمصنفه الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد للدعوة السلفية، بفضل الله ثم بمناصرة أخيه الإمام الأمير محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية أيدها الله على الدوام بالتوحيد والسنة.

ثم طبعته لأول مرة في عام أربعة عشر وأربعمائة وألف، فلقيت تلك الطبعة المختصرة ولله الحمد والمنة إنتشارا جيدا لدى المحبين للسنة من طلا ب العلم فرأيت لذلك أن أعيد طبعه مرة أخرى، وقد إشتملت هذه الطبعة على ثلاث مزايا.

إحداها: ترجمة مختصرة عن حياة المصنف وجهوده المباركة في تجديد الدعوة السلفية.

ثانيتها: فوائد نفيسة من كلام أئمة الهدى والعلماء الأعلام وذلك في مواضع متعددة من شرحنا لهذا الكتاب.

ثالثتها: إعادة النظر في ذلك الشرح ومن ثم القيام بتهذيب العبارات التي رأيت أن الحاجة تدعوا إلى تهذيبها وتنقيحها، وسيرى القارئ الكريم أن هذه الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة.

والله أسأل أن ينفعني ومن يراه ومن يستمع إليه من المسلمين بما تضمنه هذا الكتاب المبارك من تقرير صحة المعتقد وسلامة المنهج وفق الكتاب والسنة وعلى فهم السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ وسائر الأئمة من التابعين ومن بعدهم ومن سلك سبيلهم واقتفى آثارهم على هدى من الله ونور.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه:

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقا

وكان في يوم الإثنين الأول من شعبان عام ثلاثة وعشرين وأربعمائة وألف في المدينة النبوية حرسها الله وسائر بلاد المسلمين من كل سوء

ترجمة موجزة عن حياة الإمام المجدد والعلامة المسدد شيخ الإسلام وعلم الأعلام المجدد الثالث[1] للدعوة السلفية شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

اسمــه ونسـبه: هو الشيخ المجدد لما إندرس من معالم الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي نسبة إلى قبيلة بني تميم المعروفة.

ولد رحمه الله: سنة خمس عشرة ومئة وألف في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض وهي قرية في قلب الجزيرة العربية.

نشــأة الشيخ وطلبه للعلم: نشأ الشيخ في حجر أبيه وكان من العلماء وكذلــك من قبل جده سليمان كن معروف بالعلم والقضاء، فعائلته معروفة بالعلم والحلم، وصفات الخير.

فنشَّأه أبوه نشأة طيبة، حفظه القرآن قبل العاشرة، وكان الشيخ سباقا في عقلــه وجسمه، حتى إنه بلغ الإحتلام قبل إتمام الإثنتي عشرة سنة، قال أبوه: رأيته أهلا للصلاة بالجماعة، وزوجته في ذالك العام.

وبــدأ الشــيخ في مقتبل عمره في طلب العلم، فدرس على والده الفقه الحنبلي، والتفسير، والحديث، والعقائد.

وكــان للشــيخ رحمه الله عناية خاصة بكتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

---

(١) المجــدد الثالث للدعوة السلفية بعد الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية فإنَّا لم نعلم حتى الساعة مجددًا مثله قامت على دعوته دولة، هي على التوحيد والسنة.

ولم يكتف الشيخ بهذا، بل سافر في طلب العلم إلى بلدان شتى وعلماء كثيرين.

فقصد البيت الحرام، وطلب من علمائه علم الحلال والحرام، والتقى في الحج بالعلماء الأعلام، من مختلف بلدان الإسلام وتوجه الشيخ إلى المدينة النبوية، وطلب فيها الأحاديث والآثار المروية، وممن طلب منه العلم في طيبة الطيبة، العالم العامل الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف آل سيف، والشيخ المحدث الفاضل محمد حياة السندي. وآخرون ثم توجه إلى نجد، ثم إلى البصرة ثم إلى الشام ولم يدخلها لقصور نفقته عن إكمال سيره فقفل راجعا إلى نجد، وفي طريقه أخذ من بعض علماء الأحساء ثم رجع إلى نجد، وإلى (حريملاء) قرية من قرى نجد، حيت انتقل والده إليها ثم التزم طلب العلم على والده أيضا.

شيوخه: شيوخه كثر من أهمهم.

١- عبد الله بن إبراهيم بن سيف آل سيف النجدي، كان يحب الشيخ، ويحبه الشيخ، وكان له أثر كبير في نشأة الشيخ العلمية، وتوجيهه نحو العقيدة السلفية السوية.

٢- الشيخ محمد حياة السندي، وكان من كبار محدثي الحنفية وعنه أخذ الأحاديث النبوية.

٣-الشيخ علي أفندي الداغستاني، من علماء المدينة النبوية.

٤-الشيخ إسماعيل العجلوني، من علماء المدينة النبوية.

٥-الشيخ عبد اللطيف العفالقي الأحسائي من علماء المدينة النبوية.

٦-الشيخ محمد العفالقي الأحسائي، من علماء المدينة النبوية.

٧-الشيخ محمد المجموعي، من علماء البصرة.

٨-عبد الله بن عبد اللطيف الشافعي، من علماء الأحساء .

صفاته:

كان رحمه الله - شديد الذكاء، قوي الفطنة، مجدا في العلم وطلبه شجاعا في الحق والدفاع عنه، ويظهر هذا جليا في جهاده لأهل البدع حتى إنه في بلد الغربة بالبصرة أعلن إنكار البدع فأوذي في الله، وأخرج منها في سبيل الله، ومن صفاته الحميدة، وخصاله الشريفة انه كان شديد الغيرة لدين الله ومحارمه، إذ كان يرد البدع، فلا يستطيع أن يسكت كما سكت غيره، وهذا من الدوافع على قول الحق، ولو خالف أهواء الخلق.

وكان رحمه الله مع شجاعته وعزمه مقداما لا يهاب، وكان بفضل الله الوهاب، لسانه لا يمل من ذكر الله، وقلبه لا يضطرب إلا من خوف الله.

وأما علمه فتدل عليه آثاره، فهو إمام في التفسير، ويظهر هذا جليا في استنباطاته من الآيات، وعالم في الحديث، فتراه كيف يستشهد بها في مواضعها، عالم بالفقه من غير تقليد، ويكفيه فخرا رحمه الله - أنه إمام في أصل الدين وعلم العقائد ثابت في عقيدته السنية، لا تزعزعه الشبهات، بل كان يردها؛ وكان رحمه الله صافي السريرة، فصيح اللسان، قوي الحجة، ذوبصيرة ظاهرة، وفراسة بينة.

وكان رحمه الله باذل المال، يستدين لطلابه وضيوفه محسن الظن في المآل

واثقـــا بالله ذي الجلال؛ وكان - رحمه الله صبورا، حليما، لا يستفزه السفهاء إلا أن تنتهك حرمات الله وكان لينا رفيقا، أحبه الناس من مختلف البلدان حيا وميتا. ومن أهم صفات الشيخ اهتمامه بالرعايا فيعرف لكل قدره، ولا يضيع مـــن يعوله، فكان يعرف قدر الأمير، ويعرف قدر العالم، ويعرف قدر طلابه ويترلهـــم منازلهم ويهتم بأبناءه مع انشغاله بالدعوة والتأليف والتدريس حتى إن مـــن كـــبار العلماء من بعده أبناؤه، بل ومنهم من كان يدرس العلوم في حياة الشيخ، كيف لا وقديما قيل: « هذا الشبل من ذالك الأسد ».

ومن أبناء الشيخ المعروفين بالعلم: حسين، وعبد الله، وعلي، وابراهيم ثم بارك الله في ذريته وبقي العلم في آل الشيخ إلى يومنا هذا، نسأل الله أن يبارك فيهم.

مؤلفاته:

كتب الشيخ كثيرا من المؤلفات النافعة، التي انتفعت بها الأمة الإسلامية خصوصـــا في التوحيد، وأول ما بدأ الشيخ أن كتب بعض البحوث النافعة في البصرة، وكان - رحمه الله - كثير التأثر بطريقة البخاري فلا يوجد في مؤلف مـــن مؤلفاتـــه إلا التبويـــب ثم مايدل عليه من الأيات ثم الأحاديث والأثار وأصبحت بذلك كتبه نافعة، و بحوثه العلمية قيمة ومسائله المنتشرة عنه قوية، ومن أهم هذه المؤلفات مايأتي:

١- كتاب التوحيد.

٢- كشف الشبهات.

٣- ثلاثة الأصول.

٤- آداب المشي إلى الصلاة.

٥- مسائل الجاهلية.

ومن رسائله النافعة:

١- القواعد الأربع.

٢- الأصول الستة (وهو كتابنا هذا).

٣- رسالة في بيان معنى التوحيد وأصول العقائد.

دعوة الشيخ المباركة: لما رجع الشيخ من البصرة إلى نجد وكان قد رأى الشرك والبدع في الحرمين، وفي نجد، وفي البصرة حرص الشيخ على القيام بأعباء الدعوة، ولو كلفه ماكلفه، ورأى أن السكوت لا يسعه،فبدأ بدعوته، وصدع بالحق بين قومه في حريملاء مسكنه، وبين لهم أنه لا يذبح إلا لله ولا يدعى إلا الله، ولا ينذر إلا له، ولا يستغات إلا به، وأن القبور والحجار والنيران لا تنفع ولا تضر، وكانت دعوته قائمة على الكتاب والسنة وأثار السلف، وأول مابدأ سرا بين بعض خواصه ثم بعد وفاة والده عام ثلاثة وخمسين ومئة وألف بدأ بالدعوة جهرا، فدعا إلى تجريد التوحيد، و اتباع الرسول.

وفي حريملا وقع أن بعض العبيد لإحدى القبائل وكانوا يفسدون في الأرض ومنعهم الشيخ عن ذلك؛ فأرادوا قتل الشيخ وتسوروا عليه البيت وعلم بذلك بعض الناس فصاحوا بهم فهربوا، ورأى الشيخ أن البيئة في حريملاء غير صالحة فغادر إلى العيينة مسقط رأسه، وكان فيها ابن معمر حاكما، فتلقى الشيخ بالإكرام فدعاه الشيخ إلى الكتاب والسنة وتحكيمهما، وذكره بالله، وتلا عليه بعض الآيات والأحاديث ورجا له النصر والتمكين، فقبل نصرته ودعوته، فبدأ

الشـــيخ بهدم الأشجار المعظمة عندهم وهدم القباب والقبور التي تعبد من دون الله، وأقام الحدود الشرعية.

فاشـــتهر الشيخ، وزادة هيبته، حتى علم به حاكم الأحساء سليمان بن محمـــد بن عريعر فكتب إلى ابن معمر وكان عاملا له على العينية يأمره بقتل الشيخ وإلا فإنه سيقطع عنه الخراج.

فخاف ابن معمر ناسيا الخوف من الله عزوجل و لم ينفع فيه وعظ الشيخ ونصـــحه، فأخـــرج الشيخ و أوعز إلى فارس يمشي خلف الشيخ أن يقتله إذا خـــرج بـــه، فلما خرجوا ارتعدت فرائص الفارس، و ارتعشت يده فلم يقتل الشيخ و كان الشيخ لم يفتر لسانه عن ذكر الله عزوجل و يردد قوله تعالى «و مـــن يـــتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب». و نزل الشيخ بالدرعية عصر ذلك اليوم سنة ثمان وخمسين و مئة و الف على أحد طلابه في تلـــك المنطقة وهو:علي بن عبد الرحمن بن سويلم وابن عمه أحمد بن سويلم وخاف ابن سويلم على نفسه من أمير الدرعية آنذاك محمد بن سعود لانه يعلم أن الـــناس لا يقبلون ما جاء به الشيخ مما اندرس من معالم الاسلام ولايتركون مـــاهم عليه من العادات المنتشرة بين الأ نام ولكن الشيخ الممتلئ ايمانا و يقينا طمأنه ووثقه ـ بالله، ووعظه حتى سكن واطمأن لنصر الله.

ولما علم خواص أهل الدرعية به زاروه في بيت ابن سويلم خفية فشرح لهـــم التوحيد، وتجريد المتابعة، وممن حضر مثل هذه الزيارات مشاري وثنيان ابـــناء ســـعود أخو الأمير ففهما حسن مقصد الشيخ، وجمال مايدعو إليه من الحـــق، وسمعت بذلك زوجة الأمير وهي موضي بنت ابي وهطان من أل كثير

وكانـــت امرأة عاقلة لبيبة – فبين الأخوان وزوجة الأمير حسن دعوة الشيخ، وأنه غنيمة يجب قبولها، ورغبوه في زيارة الشيخ فامتثل وزار الشيخ.

ولمـــا وصل الأمير إلى بيت ابن سويلم بين الشيخ له التوحيد وذكره بالله ورجـــاه أن يكـــون إماما للمسلمين، فيجمع الله له الدين والدنيا ولذريته إن استمسك بهذه العقيدة السلفية.

وشـــرح الله صدر الأمير الإمام محمد بن سعود، وأحب الشيخ، واقتنع بدعوته، وشرط على الشيخ أمرين وهما:

الأول: ألا يرجع الشيخ عنه إن نصرهم الله ومكنه إلى بلدته.

الثاني: أن لا يمنع الأمير من الخراج الذي ضربه على أهل الدرعية.

فقال الشيخ – رحمه الله – أما الأول: فالدم بادم، والهدم بالهدم.

وأما الثاني: فلعل الله يفتح عليك الفتوحات، و يغنيك عن الخراج.

فتمـــت البيعة المباركة والتي تأسست بها منذ ذلك اليوم الدولة السعودية دولـــة التوحـــيد والسنة وإلى اليوم ولله الحمد والمنة، وبدأت الدعوة بالسنان وللســـان حتى انتشرت هذه الدعوة المباركة في الدرعية، وصارت درعا لأهل الإسلام، يفد إليها كل من أراد التوحيد من الأنام.

ولمـــا علم بهذا المآل، عثمان بن معمر ندم على الحال، ووفد على الشيخ في الدرعـــية مقدمـــا الاعذار، وطالبا منه الرجوع بإصرار، وعلق الشيخ الأمر برضى الأمير محمد بن سعود فرفض طلبه، ورجع ابن معمر خائبا، وعلى حاله نادما.

وقـــد وفد على الشيخ الكثيرون حتى ضاقت بهم الدرعية والشيخ يفيض

علـيهم من علمه وماله، ويبذل لهم العلم والمال، ولا يبخل بمال، وانتشر بين الناس كتاب الأصول الثلاثة، ومعنى لا إله إلا الله، وغيرها من الرسائل الصغيرة في ا لحجم، الكبيرة في المعنى.

وأخـذ الشـيخ يراسل علماء البلدان، والقضاة، والأمراء ويطلب منهم الطاعة والإنقياد، ونبذ الشرك والعناد.

فمـنهم من تبعه، ومنهم من سخر به وبدعوته، ومنهم من عاند، ومنهم مـن اتَّهمه بالسحر والكهانة؟ وبالجنون والسفاهة، كل هذا والشيخ مواصل دعوتـه سلما، بنشر الكتب والرسائل وشرح هذه المسائل، لا يكل ولا يمل، والأمـير يؤيده ويؤازره، وأعداء الدعوة السلفية لم يقر لهم قرار، ولم تنم لهم جفون، يكيدون ليلا ونهارا، ودبروا للقتال، فكانت لهم سيوف التوحيد صدا والدرعية لرماحهم درعا، والنصر حليف الموحدين، والهزيمة ملحقة بالمشركين، وكانت الحروب سجالا والدائرة لأهل التوحيد، حتى سقطت جميع القرى في قلـب الجزيرة واصبحت تحت إمارة ابن سعود مناصر لواء التوحيد، وفي يدي دعاة التوحيد، ينشرون النور والهدى، ويعلمون الناس السنة، ويحذرونهم البدع والردى.

فدعـوة الشيخ لم تقم على القتال المبدئي، وإنما كان دفاعا عن التوحيد وأهله، كانت هذه هي سيرة الشيخ الدعوية، وباختصار شديد والتي قضى فيها بسـيفه ولسانه على كثير من مظاهر الشرك والبدع في العالم الإسلامي، وفي الجزيـرة على وجه الخصوص، ولم يمت الشيخ إلا وقد رأى ثمار هذه الدعوة

المـــباركة، وآثارها الحسنة، وثمارها الجانية في الفانية قبل الباقية، وتوفي الشيخ رحمـــه الله سنة ست ومئتين وألف عن عمر يناهز الحادية والتسعين أسكنه الله فسيح جناته، وجازاه خيرا ما جازى عالما عن أمة محمد ﷺ.

من مصادر الترجمة:

١- دعـــوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها على العالم الإسلامي – لدكتور صالح العبود.

٢- عنوان المجد في تاريخ نجد.

٣- الشـــيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي رحمه الله.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب إمام الدعوة السلفية وحامي حمى الملة الحنيفية: (**من أعجب العجاب وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بينها الله تعالى بيانا واضحا للعوام فوق ما يظن الظانون ثم بعد هذا غلط فيها أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل.**

الأصل الأول:

إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له وبيان ضده الذي هو الشرك بالله وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم).

ش / أقول: قوله رحمه الله (ستة أصول).

الأصول جمع أصل وهو في اللغة ما ينبني عليه غيره ومنه الأساس أصل البناء والجذع أصل الشجرة، قال الله تعالى. ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾.

المراد هنا بيان قواعد مستنبطة من الكتاب والسنة للدلالة على كمال حكمة وقدرة الله ﷻ وكمال هديه وتشريعه.

هذه الست القواعد استنبطها الشيخ من الكتاب والسنة وسيظهر أن هذا

الاستنباط واضح لا غرابة فيه ولا تكلف.

فالأصل الأول: هو إخلاص الدين لله.

الإخلاص معناه في:

اللغة: التصفية، يقال خلص العسل أي صفاه من الشوائب.

واصطلاحا: تخليص العبادة وتصفيتها من الشرك ظاهرا وباطنا، فالشرك الظاهـــر أنـــواع، منها شرك الدعوة وشرك الطاعة، هذا هو الشرك الظاهر؛ والشـــرك الباطن انواع منها شرك المحبة و الرياء وهو الشرك الأصغر إذا كان يسيرا والأدلة على أن الإخلاص شرط في قبول كل عبادة من الكتاب والسنة تفوق الحصر وسيأتي بيانها بعد قليل إن شاء الله تعالى.

قوــله: **(إخلاص الدين)** يريد بالدين الإسلام إخلاص الدين لله والمراد إفـــراد الله وحده بالعبادة وهذا هو اتفاق كلمة الرسل من لدن نوح إلى محمد ﷺ اتفقـــت كلمة الرسل من أولهم إلى آخرهم على دعوة الناس إلى عبادة الله وحده فلو كانت الرسل دعت قومها إلى عبادة الله هكذا مجردة ما حصل نزاع وخصومة ومفاصلة وبغضاء وعداوة.

لكن سبب البغضاء والمفاصلة والعداوة للرسل هي الدعوة إلى عبادة الله وحده ونحن نعرف أن قريشا لهم عبادات من صيام وحج وصدقة.

الأدلة على وجوب الإخلاص والتحذير من الشرك من القرآن

وسـنذكر أمثلة من الكتاب الكريم على ما بيناه من اتفاق كلمة الرسل على الدعوة إلى عبادة الله الخالصة.

فـأولاً: قول الله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**... الآية ﴾ (النحل: من الآية٣٦) فالذي اتفقت عليه كلمة الرسل هنا الأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت وهذه صيغة عموم.

ثانـياً: قـص الله ﷻ علينا في محكم كتابه بأن كل نبي أول ما يقرع به أسماع قومه هو ﴿ **يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾.

هـذا مـا عرفناه على لسان نوح وهود وصالح وغيرهم عليهم الصلاة والسلام، فماذا عن محمد ﷺ مع قومه ؟.

وللجواب على هذا السؤال نأخذ آيتين من سورة البقرة ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشـاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقـاً لَكُـمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُو** ﴾ (البقرة:٢٢) فبم بدأ الله سبحانه وتعالى هذه الآيات ؟ بدأها بأمر الناس بعبادة الله، هذا أولاً.

ثانياً: ذكر نعمه المستوجبة عبادته وحده ومنها: نعمة الخلق وهو الإيجاد مـن العدم وإنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات بذلكم الماء وجعل الأرض فراشا والسماء بناء.

وفي الآية الثانية ختام (**فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعملون** ﴾.

أنداد جمع ند وهو الشبيه والمثيل فالقوم يعلمون أن هذه النعم من الله سبحانه وتعالى وحده فكان لزاما عليهم أن يفردوه بالعبادة وهذا ما تعودناه من الله يذكر نعمه ليقرر أنه هو المعبود وحده يذكر ربوبيته ليلزم الناس بألوهيته ولهذا فمن سمعتموه يقرر بأن توحيد الربوبية هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل فهذا إما جاهل وإما ضال ما دعت الرسل قومها إلى توحيد الربوبية فيما نعلم بل دعوا إلى توحيد الألوهية ولنأخذ مثالاً آخر؛ يقول الله ﷻ **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّه ﴾** (البقرة: من الآية١٩٣) وفي آية أخرى (كله لله) قال ابن كثير: (حتى لا تكون فتنة) أي شرك، قاله ابن عباس وأبوالعالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم.

(**ويكون الدين لله**) أي يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال سئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) وفي الصحيحين (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**)[1] أهـ.

ثالثاً: يقول سبحانه **﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾** (الأنعام:١٦٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٢٣٣).

قـال الشيخ ابن سعدي: (**قل إن صلاتي ونسكي**) أي ذبحي وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما ودلالتهما على محبة الله تعالى وإخلاص الدين لـه والـتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال لما هو أحب إليها وهو الله تعالى ومن أخلص في صلاته ونسكه استلزم ذلك إخلاصه لله تعالى في سائر أعماله وأقواله (ومحياي ومماتي) أي ما آتيه في حياتي وما يجريه الله علي وما يقدر علي في مماتي)[1] أهـ.

رابعـاً: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَـنْ يُشْـرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾ (النساء:١١٦) فهذه الآية قد دلت على أمرين.

الأمر الأول: عدم مغفرة الله الشرك لمن مات عليه.

الأمر الثاني: أن ما دون الشرك تحت مشيئة الله وهكذا كل القرآن منذ بعـث الله محمـدا ﷺ حتى توفاه وهو يقرر ألوهية الله ﷻ ووجوب إخلاص العـبادة له وفي هـذا رد عـلى من يقول إن الفترة المدنية من دعوة النبي ﷺ مقصـورة على بيان الأحكام الشرعية العملية لأن الشرك كان في الفترة المكية فبعض هذه الآيات مدني وبعضها مكي.

---

(١) تفسير ابن سعدي (٢/٩٢).

الأدلة على وجوب الإخلاص والتحذير من الشرك من السنة

هـذا مـن الكتاب الكريم فماذا نجد من السنة على التحذير من الشرك ووجوب إخلاص العبادة لله وحده.

الحديث الأول: ما رواه الشيخان عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذاً إلى اليمن قال: (**إنك تأتي قوماً أهل كتاب ؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم...**) فأول أوامر الرسول ﷺ لمبعوثه معاذ رضي الله عنه دعوة الناس إلى عبادة الله وحده.

الحديث الثاني: عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**) فالحديث واضح الدلالة على أمرين:

أولهما: أن التوحيد هو رأس الأوامر ثم تتبعه بقية الشرائع وأعظمها الصلاة.

ثانياً: تعليق النبي ﷺ عصمة الدم والمال على اكتمال ثلاثة أشياء وهي الشهادتان والصلاة والزكاة لا تنفك واحدة منها عن أخواتها هذا هو صريح الحديث.

الحديث الثالث: أن ابن مسعود رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: (**أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قال: ثم ماذا ؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قال: ثم ماذا ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك**) فأنزل الله تصديقا لنبيه ﷺ آيات من سورة الفرقان ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً** ﴾ (**الفرقان:٦٩**)، فكما أن التوحيد هو أعظم ما أمر الله به فإن الشرك أعظم ما نهى الله عنه، هذا هو صريح الدلالة من لفظ الحديث. وفي الحديث لفتة أخرى وهي: أن دعوة النبي ﷺ تتضمن الأوامر والنواهي ؛ وفي هذا رد على الدعاة الذين يقولون يكفي أن تدعو الإنسان إلى الإيمان ثم تتركه هو لنفسه إذا اكتمل إيمانه يترك المعاصي، هذا إما جهل بدعوة النبي ﷺ، وإما ضلال.

الحديث الرابع: حديث أبي بكرة رضي الله عنه وهو مخرج في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (**ألا أنبؤكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا: بلى، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور... الحديث**).

فلعله اتضح من خلال هذه الأدلة من الكتاب والسنة أن الواجب هو إخلاص الدين لله.

الكلام على جمل من هذا الأصل

وبقي الآن الكلام على جمل من هذا الأصل وهي:

أولاً: قول الشيخ رحمه الله (بكلام يفهمه أبلد العامة).

فالعامي من المسلمين إذا قلت له: ﴿ **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** ﴾ (المائدة: من الآية٧٢) فإنه يفهم هذه ـ فضلا عن طالب العلم ـ، لكن وضح له الشرك فقط قل له: لا تذبح لقبر ولا تدعو أحداً غير الله سواء كان هذا ملكاً أو نبياً أو رجلاً صالحاً لأن كلام الله يفهمه كل أحد.

ثانياً: قوله رحمه الله (ثم لما صارعلى أكثر الامة ما صار... الخ).

يعني أن انحراف بعض هذه الأمة عن التوحيد إلى الشرك سببه الغلو في الصالحين كما حدث قبل نوح عليه السلام ؛ فإن قومه صوروا رجالاً صالحين وهم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، صوروهم ليتأسوا بهم ويذكروا عبادتهم فكان الأمر على ذلك، فلما نسي العلم، وهلك الصالحون ؛ عبدت هذه من دون الله ﷻ، وهذا دليل على أنه إذا قلّ العلم، وفشى الجهل كان الانحراف.

ثالثاً: في قول الشيخ (إن الشيطان أظهر لهم الإخلاص في صورة تنقص الصالحين).

معنى هذه الجملة أن الناس يرون إخلاص العبادة لله هو نقص في حق الصالحين لأن القوم لما انحرفوا وغلوا في الأولياء والصالحين ورفعوهم حتى عبدوهم من دون الله فإذا دعوا إلى الإخلاص يرون أن ذلك نقص في حق

الصـــالحين لذلـــك زين لهم الشيطان الشرك في صورة محبة الصالحين ـ يعني ـ احبوا الصالحين وافرطوا في محبتهم حتى عبدوهم من دون الله ﷻ.

قـــال الشـــيخ عـــبدالرحمن بـــن حسن آل الشيخ في بيان أثر الغلو في الصالحين: (**وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك وإن كان القصد بها حسنا فإن الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو والبدع في قالب تعظـــيم الصالحين ومحبتهم كما قد وقع مثل ذلك من هذه الأمور أظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله**)[١]. أهـــ.

---

(١) فتح المجيد (ص١٧٣).

الأصل الثاني الأمر بالاجتماع على الدين

(أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فبيّن الله هذا بياناً شافياً تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين، ونهاهم عن التفرق فيه ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين وصار الاجتماع لا يقول به إلا زنديق أو مجنون).

ش / هذا الأصل الذي هو الأصل الثاني من القواعد المستنبطة من الكتاب والسنة للدلالة على كمال قدرة الله وكمال حكمته وهديه يتضمن عدة مباحث:

المبحث الأول: معنى الأمر والنهي لغة واصطلاحاً.

فالأمر في اللغة: يطلق على شيئين، أحدهما: الفعل والحال والشأن، والآخر: طلب الفعل.

واصطلاحا: طلب الفعل بالقول الدال عليه على جهة الاستعلاء.

والنهي في اللغة معناه: المنع، ومنه سمي العقل نهيه؛ لأنه يمنع من ارتكاب القبيح قولاً وفعلاً.

واصطلاحا: هو طلب الكف عن الفعل بالقول الدال عليه على جهة الاستعلاء.

ولـــيس البحـــث في صيغ الأمر الأصلية والنهي الأصلية محل بسط هنا، ولكن سنتعرف من خلال ما نورده من النصوص على بعض صيغ الأمر والنهي حـــتى يتضح المقصود لأن الشيخ رحمه الله تعالى قال: إن الله أمرنا بالاجتماع على الدين ونهانا عن التفرق فيه، فنحب أن نبيّن من خلال استعراض النصوص مـــا يفهم منه الأمر، وما يفهم منه النهي؛ لأن الأمر أحياناً يكون بفعل الأمر المعروف بالصيغ الأصلية الأربع، والنهي يكون بصيغة النهي الأصلية، وأحياناً يكون الأمر والنهي بغير الصيغ الأصلية.

المبحث الثاني: في ذكر الآيات الدالة على وجوب الاجتماع في الدين

فالآية الأولى: من سورة آل عمران وهي قوله تعالى ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُـــمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (آل عمران:١٠٣).

فالشاهد من الآية قوله (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) وهو أمر بالاجتماع على الدين، ونهيٌ عن التفرق فيه، وهذه الآية الكريمة نظيرها من سنة رسول الله ﷺ ما رواه مسلم وغيره من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عـــن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا؛ وأن تعتصموا بحبل**

الله جميعاً ولا تفرقوا؛ وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثاً قيل وقال؛ وكثرة السؤال وإضاعة المال).

فالشاهد من الحديث (**وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) وقد يقول قائل أين الأمر من الحديث ؟ فالجواب: في قوله ﷺ (يرضى) والرضا بالفعل من صيغ الأمر الفرعية، فالمأمور به في هذا الحديث **ثلاثة أشياء:**

(**عبادة الله وحده، والاعتصام بحبل الله وعدم الافتراق، ومناصحة ولاة الأمر**) هذه الأشياء رضيها الله لنا وما رضيه الله فهو مأمور به، والأمر الأصل فيه الوجوب، وهنا سؤال وهو: ما المراد بالاعتصام ؟

فالجواب ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه وهو الحديث المعروف بحديث الثقلين قال زيد بن أرقم رضي الله عنه: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً يوماً بغدير ـ يدعى خماً، ماء بين مكة والمدينة ـ فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال أما بعد:

(**ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا كتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه...**) الحديث

فقد فسّر النبي ﷺ في هذا الحديث الاعتصام بأنه التمسك بكتاب الله وأنه هو الذي فيه الهدى والنور.

إذن فغير كتاب الله ليس فيه هدى ولا نور ولا يستقيم الاحتجاج بالآية السابقة إلا للسلف لأن معتقدهم ومنهجهم كليهما مأخوذ من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وليس من صنع البشر بل هو ما أودعه الله في كتابه وفي

سنة رسوله ﷺ.

الآيـــة الثانـــية: قول الله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْـــتَ مِـــنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ (الأنعام:١٥٩)

نذكر أولاً سبب نزول هذه الآية: ذكر غير واحد من المفسرين، منهم قتادة، ومجاهد، والضحاك: أنها في اليهود والنصارى، فإنهم هم أول من افترق في دين الله فكانوا أحزاباً و فرقاً وجاءت آثار لم يصح رفعها إلى رسول الله ﷺ أنهـــا في أهل البدع والشبهات، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كمـــا هـــو مقرر في الأصول. يذم الله سبحانه وتعالى الافتراق في دينه وكون الناس أحزاباً لأن هذا الافتراق يجعل الناس متناحرين متطاحنين حتى لو انتسبوا إلى الدعوة إلى الله وهنا قد يقول قائل أين الأمر وأين النهي في الآية ؟

فـــالجواب: نقول في الآية ذم للتفرق في الدين والوعيد عليه وذلك صيغة نهي فرعية كما قرره الأصوليون.

الآيـــة الثالثة: من سورة الشورى وهي قول الله تعالى ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَـــى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ** ﴾ (الشورى:١٣).

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله:

(هـــذه أكـــبر مـــنة أنعم الله على عباده أن شرع لهم من الدين خير

الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده بل شرعه الله لخيار الخيار وصفوة الصفوة وهم أولوا العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية أعلى الخلق درجة وأكملهم من كل وجه فالدين الذي شرعه الله لهم لا بد أن يكون مناسبا لأحوالهم موافقا لكمالهم بل إنما كملهم الله واصطفاهم بسبب قيامهم به فلولا الدين الإسلامي ما ارتفع أحد من الخلق فهو روح السعادة وقطب رحى الكمال وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب قال(أن أقيموا الدين) أي أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه تقيمونه بأنفسكم وتجتهدون في إقامته على غيركم وتتعاونون على البر والتقوى ولا تتعاونون على الإثم والعدوان

(ولا تتفرقوا فيه). أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابا وشيعا يعادي بعضكم بعضا مع اتفاقكم على اصل دينكم ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة كاجتماع الحج والأعياد والجمع والصلوات الخمس والجهاد وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا بالاجتماع لها وعدم التفرق.

(كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) أي شق عليهم غاية المشقة حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده كما قال عنهم ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم

يستبشرون﴾ وقولهم (**اجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب**[1].أهـ.

الآية الرابعة: من سورة آل عمران قال الله تعالى **﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾** (آل عمران: من الآية١٠٥).

إذاً الله سبحانه وتعالى نهى هذه الأمة عن التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم وهذا التفرق مذموم متى حصل من أهل الكتاب هذا التفرق ؟ بعد ما جاءهم البينات كما قال تعالى في آية أخرى **﴿ وما اختلفوا إلا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم ... ﴾** يعني عداوة فهذه الأمة إذا سلكت مسلك أهل الكتاب تفرقت بعد أن أكمل الله دينه وبين لها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ العقيدة والمنهج فإنها يقع عليها ما وقع على الأمم السابقة **﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾** ؛ هذه أربعة نصوص من كتاب الله سبحانه وتعالى اتضح فيها الأمر بالاجتماع على دين الله الذي أنزله على محمد ﷺ كما اتضح أيضا من خلالها النهي عن التفرق فيه وهذا الأمر يشمل العقيدة والمنهج وكذلك النهي يشمل النهي عن الاختلاف في العقيدة والمنهج.

وقد يقول قائل: كيف الحل حينما يحتدم النزاع والخلاف بين المسلمين؟ فالجواب: في قوله تعالى **﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾** (النساء: من الآية٥٩) فالخلاف يرد إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ ولا يرد إلى عقول

---

(١) تفسير ابن السعدي ٤/٤١٣

البشر أبداً فلم يَكل الله سبحانه وتعالى أمر الدين إلى البشر لأن عقولهم تختلف ومشاربهم تتباين يختلفون في الاعتقاد والمناهج، يختلفون في الآراء فوكل البيان إلى كتابه وإلى سنة رسوله ﷺ فمن طلب بيان الدين من غير كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ فهو إما جاهل أو ضال مضل ركب الهوى وامتطى البدعة وانتهج الـــرأي ونذكـــر هذه الكلمة للفاروق ﷺ في ذم الرأي وأهله يقول (**إياكم وأهـــل الـــرأي فـــإنهم أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا**).

وإذا نظـــرنا هـــنا إلى الجماعـــات الدعوية الحديثية فإنها كلها تستمد مـــناهجها وأصولها بل ومعتقداتها أو جلّ معتقداتها من البشر ونحن لا نحاسب الـــناس على نياتهم فالذي يحاسب الناس على نياتهم هو الله ﷻ لكن لنا ظاهر الحال.

فالخطأ خطأ وإن صلحت نية صاحبه بل علامة صلاح النية الرجوع عن الخطأ.

المبحث الثالث: الأحاديث الدالة على الأمر بالاجتماع على الدين

ولنتأمل نصوص سنة رسول الله ﷺ فإنها تفوق الحصر فنذكر:

أولاً: حديـــث افتراق الأمم وهو صحيح عن النبي ﷺ بكثرة طرقه قال صـــلىالله علـــيه وسلم (**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصـــارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: الجماعة**).

جماعـــة الحق التي انتهجت الكتاب والسنة وسارت على هدي السلف الصالح هذه الجماعة الناجية وهي الطائفة المنصورة التي قال فيها ﷺ (**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**) هي الطائفة المنصورة وهي السلفية.

الحديـــث الثاني: قوله ﷺ (**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...**) الحديث. هذا أمر بالاجتماع على دين الله ونهى عن التفرق وحث عـــلى التمسك بالكتاب والسنة وبسيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين لأن الصـــحابة هم أعرف الناس بهدى نبيهم ﷺ وهم أسبق الناس إلى الفضل والتابعون هم أعرف الناس بسيرة الصحابة.

الحديث الثالث: قوله ﷺ: (ذروني ما تركتكم عليه فإنما هلك من كان قـــبلكم بكـــثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه).

يحتوي هذا الحديث:

أولاً: الحض على التمسك بهدي النبي ﷺ والتمسك بسنته (**ذروني ما تركتكم عليه**) ثم قال (**فما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**).

ثانـــياً: الـــتحذير عن الاختلاف وهذا التحذير بيّنه الرسول ﷺ بقوله: (**فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم**) فالأمة إذا اختلفت على نبيها معرضة للهلاك.

والأمـــر الثالث: فيه سر بديع من أسرار التشريع وهو أن الأوامر يعفى

عن الإنسان ما يعجز عن فعله وأما النواهي فلا عفو فيها بل يجب ترك المنهي عنه بالكلية (**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه**) فإذن هذا فضل الله.

ص: **ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين.**

دلالة قول المصنف ثم صار الأمر...الخ

ش / قلت: وهذا الذي ذكره هو ما آلت إليه الأمة الإسلامية إلا من رحم الله من التحزب حتى صار كل حزب لا يرى الدين إلا من خلال مبادئه وقواعده التي قعدها وأصوله التي أصلها وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون وانطبق عليهم قول الحق جل ثناؤه (**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون**):

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله:

(يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم أي: شَتَّتُوه وتفرقوا فيه وكل أخذ لنفسه نصيباً من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيأ كاليهودية والنصرانية والمجوسية أو لا يكمل بها إيمانه بأن يأخذ من الشريعة شيئا ويجعله دينه ويدع مثله أو ما هو أولى منه كما هو حال أهل الفرقة من أهل البدع والضلال والمفرقين للأمة؛ ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف وينهى عن التفرق والاختلاف في أصل الدين وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية:

وأمره أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم فقال (**لست منهم في شيء**) أي لست

منهم وليسوا منك لأنهم خالفوك وعاندوك.

(**إنما أمرهم إلى الله**) يردون إليه فيجازيهم بأعمالهم (**ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون**)[١] أ.هـ.

قلت: وقد جاءت السنة الصحيحة بذم الافتراق في الدين من ذلك قوله ﷺ (**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**) **قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال:** (**الجماعة**) ويفسر ابن مسعود رضي الله عنه الجماعة بقوله ما وافق الحق وإن كنت وحدك فإنك حنئذ انت الجماعة.

وأقول: لا خلاص للأمة من شتات الأمر وتمزق الشمل وتصدع الصفوف إلا بأمرين:

أولهما: نبذ الانتماءات التي أفرزتها الحزبية الضيقة فأنتجت الفرقة والشحناء.

وثانيهما: العودة إلى الجماعة السلفية فإنها الحنيفية السمحة والمحجة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وهي الفرقة الناجية والطائفة المنصورة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون

---

(١) تفسير ابن سعدي ٢/٩١

إلا حقاً، فإن كان موافقاً له باطناً وظاهرا فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم انتهى محل الغرض)[١].



(١) مجموع الفتاوى ٤/١٤٩

الأصل الثالث:

ص: (ان من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدا حبشيا، فبين الله له هذا بيانا شائعا كافيا بكل وجه من أنواع البيان شرعا وقدرا ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به).

ش / إن هذا الأصل من أخطر الأصول وأعظمها وقد أجمع على هذا الأصل أئمة المسلمين أئمة أهل السنة والجماعة وحاد عنه أهل الأهواء وتنكروا له فضلوا وأضلوا، ولا يزال المتكلم في هذا الأصل يرمى بأشنع الألقاب والأوصاف، وما ذلكم إلا لتنكب الناس السنة وركوبهم البدعة فإن البدعة ظلمات وبلايا يجر بعضها بعضا فلتنتبه ونحن نتحدث عن هذا الجانب العظيم وهذا الأصل الخطير إلى عدة أمور:

أولا:أنه كما جاء بيان هذا الأصل في الكتاب الكريم فقد جاء بيانه كذلك في السنة من وجوه لاتحصى.

والأمر الثاني: أن في الأمر بلزوم الجماعة والطاعة التامة لولي الأمر في غير معصية الله ـ كما سيأتي تفصيل ذلك ـ من أعظم الكمال في التشريع ومن أعظم كمال هذه الشريعة فإنه باجتماع الكلمة يتوحد الصف وتتآلف القلوب ويسود الأمن وعند الاختلاف يكون الشقاق وتسود الفرقة ويأكل القوي الضعيف وتصبح الغلبة لا للحق بل الغلبة لذوي القوة.

وهذا الأصل يتضمن أربعة مباحث:

المبحــث الأول: آيات مختارة من الكتاب الكريم في وجوب طاعة ولي الأمر ولزوم الجماعة.

المبحث الثاني: نورد أحاديث مما تواتر عن النبي ﷺ تواتراً معنوياً في هذا الشأن.

المبحث الثالث: يتضمن نقولا عن سلف هذه الأمة يتبيّن بها أن علمائنا لم يكونوا بدعا من القائلين بوجوب طاعة ولي الأمر ولزوم جماعة المسلمين.

المبحث الرابع: في النصيحة لولاة الأمر.

المبحث الأول: الآيات المختارة في الموضوع

فأول آية من سورة آل عمران قوله تعالى﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ** ﴾ (آل عمران: من الآية١٠٥) تحذير من الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة من مسلك الأمم السابقة الذين افترقت كلمتهم وتفرقت جماعاتهم فأصبحوا شيعا والنتيجة أن لهم العذاب من الله ﷻ.

الآية الثانية: من سورة النساء ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ (النساء:٥٩)

فما الذي في هذه الآية من الأحكام ؟

أولاً: الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فليس لأحد أن يكون مشرعا للناس برأيه بل التشريع إلى الله وإلى رسوله ﷺ لا لأحد من البشر فالتحليل والتحريم والنهي والأمر إلى الله وإلى رسوله ﷺ.

ثانياً: طاعة ولي الأمر لأنه بطاعة ولي الأمر تستقيم حال الأمة وبمنازعته وبمخاصمته ينفرط العقد ويصبح الناس فوضى قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

وهذه الطاعة التي جاءت في الآية الكريمة بينها النبي ﷺ وقيدها وذلكم في الحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

(على المسلم السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره مالم يؤمر بمعصية الله فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

فأصبحت طاعة ولي الأمر مادام الأمر طاعة لله أو أمرا بالمباحات أو ما

يسوغ فيه الاجتهاد واجبة ولا يجوز التراع فيها.

ثالثاً: رد التراع والاختلاف إلى الله وإلى رسوله والرد إلى الله يكون إلى كتابه والرد إلى النبي ﷺ بعد موته إلى سنته فليس لأحد أن يحكم عقله.

بهذه الثلاثة الأمور يصبح الناس مؤمنين بالله واليوم الآخر ولهذا قال:

﴿ **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾ ؛ يعني... إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فأطيعوا الله وأطيعوا رسوله وأولي الأمر منكم وردوا ما تنازعتم فيه إلى الله وإلى رسوله، فأين جواب الشرط؟ جواب الشرط محذوف إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر هذه جملة شرطية جوابها يفهم مما تقدم تقديره فأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم وردوا ما تنازعتم فيه إلى الله وإلى رسوله، وفي الباب قول نفيس ننقله لك مع اختصار وتصرف من كتاب «**الشريعة**» لمحمد بن الحسين الآجري رحمه الله حيث قال في (ص٣):

«إن الله بمنه وفضله أخبرنا في كتابه عمن تقدم من أهل الكتابين اليهود والنصارى: أنهم إنما هلكوا بما افترقوا في دينهم،وأعلمنا مولانا الكريم: أن الذي حملهم على الفرقة عن الجماعة والميل إلى الباطل،الذي نهوا عنه: إنما هو البغي والحسد بعد أن علموا ما لم يعلمه غيرهم، فحملهم شدة البغي والحسد إلى أن صاروا فرقا فهلكوا، فحذرنا مولانا الكريم في كتابه عن ذلك. قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ـ إلى قوله ـ إلى صراط مستقيم** ﴾ وقال عزوجلّ ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا**

لست منهم في شئ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ وقال عزوجل في سورة لم يكن **﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾**... فأعلمنا مولانا الكريم أنهم أوتوا علما، فبغى بعضهم على بعض وحسد بعضهم بعضا، حتى أخرجهم ذلك إلى أن تفرقوا فهلكوا.

فإن قال قائل: فأين المواضع من القرآن التي نهانا الله عزوجل فيها أن نكون مثلهم، حتى نحذر ما حذرنا مولانا من الفرقة، بل نلزم الجماعة؟

قيل له: قال الله عزوجل في سورة آل عمران: **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدوا، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾**. وقال عزوجل في سورة الأنعام **﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾** وقال عزوجل في حم عسق **﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه،كبر على المشركين ما تدعوهم إليه،الله يجتبي إليه من يشاء**

ويهدي إليه من ينيب ﴾.

فهل يكون من البيان أشفى من هذا عند من عقل عن الله عزوجل؟ وقد مــر ما حذرناه مولانا الكريم من الفرقة، ثم اعلموا رحمنا الله تعالى وإياكم أن الله عزوجل قد أعلمنا في كتابه: أنه لا بد من أن يكون الاختلاف بين خلقه، ليضـــل من يشاء ويهدي من يشاء، جعل الله عزوجل ذلك موعظة يتذكر بها المؤمنون، فيحذرون الفرقة، ويلزمون الجماعة، ويدعون المراء والخصومات في الدين، ويتبعون ولا يبتدعون.

فإن قال قائل: أين هذا من كتاب الله عزوجل؟

قيل له: قال الله عزوجل في سورة هود **﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحـــدة ولا يزلون مختلفين إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربـــك لأمـــلأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾** الآية.

ثم إن الله عـــزوجل أمر نبيه ﷺ أن يتبع ما أنزل إليه ولا يتبع أهواء من تقدم من الأمم فيما اختلفوا فيه، ففعل ﷺ وحذر أمته الاختلاف والاعجاب بالرأي، واتباع الهوى، قال الله عزوجل في سورة حم الجاثية: **﴿ ولقد آتينا بني إســـرائيل الكـــتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العـــالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغـــيا بيـــنهم، إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، ثم**

جعلـــناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لـــن يغـــنوا عـــنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ ثم قال عزوجل **﴿ هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾**.

فإن قال قائل: أذكر لنا من سنن رسول الله ﷺ أنه حذر أمته ذلك:

قـــيل له: نعم. وواجب عليك أن تسمعه، وتحذر الفرقة، وتلزم الجماعة وتستعين بالله العظيم جل جلاله على ذلك.

عـــن زر بن حبيش عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **مـــن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد.**

وعـــن الحارث الأشعري حدثه: أن النبي ﷺ قال: (**إن الله تبارك وتعالى أمـــر يحـــيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل يعملون بهـــن ـ وذكـــر الحديـــث بطوله وقال رسول الله ﷺ وأنا آمركم بخمس، أمـــرني الله عزوجل بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله عزوجل. فمن فارق الجماعة، فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه إلا أن يراجع**).

قلت: ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات فميتته جاهلية**).

وعـــن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند النبي فقرأ (**وأن**

هـــذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ثم خط حوله خطا وخط خطوطا، ثم قال: هذه السبل، فما منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعوا إليه.

وقال أبو العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا عن الصراط يمينا ولا شمالا، وعليكم بســـنة نبيكم ﷺ والذي عليه أصحابه، فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الـــذي فعلـــوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء فحدثت به الحسن فقال: صدق ونصح. وحدثت به حفصة بنت سيرين، فقالت: أحدثت بهاذا محمدا.؟ قلت: لا قالت: فحدثه إذن.

قـــال محمد بن الحسين: علامة من أراد الله عزوجل به خيرا: سلوك هذه الطـــريق كـــتاب الله عزوجل، وسنن رسول الله ﷺ وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله تعالى عليهم، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء، مثل الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل والقاسم بن سلام، ومن كان مثل طريقهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء » اهـــ.

الآيـــة الثالـــثة: قـــول الله تعالى **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾** (المـــائدة: من الآية١) يعني ما تعاقدتم عليه لزمكم الوفاء به؛ والعقود الواجبة مـــنها مـــا يكـــون في العبادات كالصلاة والزكاة والصيام ومنها ما يكون في المعـــاملات كعقد الزواج والبيع ومن أعظم ما أوجبه الله من هذه العقود طاعة

ولي الأمــر وسواء أكان الإنسان حلف أو لم يحلف أو أعطى يمينا على طاعة ولي الأمــرأو لم يعطــي لزمته الطاعة ولزمته البيعة وبإجماع المسلمين أن البيعة تــنعقد بالبعض لا بالكل ويكون البقية تبعا، فإذا بايع أهل الحل والعقد ومن تيسر معهم لزمت البيعة جميع الأمة تبعا لهم.

المبحث الثاني: وهو السنة الواردة في الموضوع:

اعــلموا هدانا الله وإياكم إلى صواب الأقوال والأعمال والمعتقدات أن الســنة في هذا الباب متواترة تواتراً معنوياً، ولا ينكر ذلك بعد هذا التواتر إلا مكابــر، أضف إلى ذلك إجماع أهل السنة والجماعة على هذا الباب، وإذا قلنا متواترة فإنها تفوق الحصر، ومنها ما هو في الصحيحين، ومنها ما هو في السنن وغيرها. وسنقتصر على حديثين لكن قبل إيراد هذين الحديثين نذكر بعض من روى هــذه الســنن المــتواترة في هذا الباب: هم حذيفة بن اليمان، وأبو ذر الغفــاري، وأبو هريرة، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله ابن عمرو بن العاص، والعرباض بن سارية، وعبدالله بن مسعود، وأم الحصين ﷺ أجمعين.

هؤلاء جملة من أصحاب النبي ﷺ رووا هذه السنن، وأما الحديثان اللذان سنقتصر عليهما:

فأولهمــا: حديــث حذيفة في الصحيحين قال: (**كان الناس يسألون رســول الله ﷺ عــن الخير وأسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله كنا في جاهلية وشر، فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن،**

قلــت: وما دخنه؟ قال: قوم يهتدون بغير هديي ويستنون بغير سنتي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: صفهم لنا يا رسول الله، قال: هم قــوم مــن بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله ما ترى إن أدركــني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعــة ولا إمــام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

هــذا هو العلاج الناجح مادام لا يوجد جماعة ولا إمام هذا هو ما أمرك الله بــه ورســوله وفي هذا إشارة إلى أن الجماعة تسمى فرقة كما أن الفرقة تسمى جماعة.

هــذا هــو الحديث الأول وأظنه واضح المعنى، وههنا سؤال هام جدير بالإجابة وهو: عرفونا هذه الجماعة التي قام الدليل صراحة على وجوب لزومها من الكتاب والسنة والمأثور عن الأئمة.

فالجواب:

اخــتلف الــناس في معنى الجماعة المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال:

أحدهــا: أنهــا السواد الأعظم، ومن خالفهم في شئ من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم مات ميتة جاهلية؛ وممن قال بهذا أبو مسعود الأنصاري وابن مسعود؛ قال ابن مسعود: عليكم بالسمع والطاعة، فإنها حبل الله الذي أمر به ثم قــبض يــده وقال: إن الذي تكرهون في الجماعة خير من الذي تحبون في

الفرقة.

فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم، لأنهم تابعون لهم، ومقتدون بهم، فكل من خرج عن جماعتهم، فهم الذين شذوا، وهم نهبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع، لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، لم يدخلوا في سوادهم بحال.

الثاني: أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، لأن جماعة الله العلماء، جعلهم حجة على العالمين، فمعنى قوله: (لن تجتمع أمتي): لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة؛ وممن قال بهذا عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وجماعة من السلف، وهو رأي الأصوليين.

فقيل لعبد الله بن المبارك: من الجماعة الذين ينبغي أن يقتدى بهم؟ قال: أبو بكر وعمر... فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحسين بن واقد، فقيل هؤلاء ماتوا، فمن الأحياء؟ قال: أبو حمزة السكري:

الثالث: أن الجماعة هي الصحابة على الخصوص وممن قال بهذا القول: عمر بن عبد العزيز.

فعلى هذا القول، فلفظ (الجماعة)مطابق للرواية الأخرى في قوله عليه السلام (ما أنا عليه وأصحابي):

الرابع: أن الجماعةهي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم، وهم الذين ضمن الله لنبيه عليه السلام ألا يجمعهم على ضلالة؛ وكأن هذا القول يرجع إلى الثاني، أو يرجع إلى القول

الأول، وهـــو الأظهر وعند ذلك لا يكون مع اجتماعهم على هذا القول بدعة أصلا، فهم إذا الفرقة الناجية.

الخـــامس: ما اختاره الطبري الإمام من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجـــتمعوا عـــلى أمـــير، فأمر عليه السلام بلزومه، ونهى عن فراق الأمة فيما اجـــتمعوا عليه من تقديمه عليه، لأن فراقهم لا يعدوا إحدى حالتين: إما النكير علـــيهم في طاعـــة أميرهـــم، والطعن عليه في سيرته المرضية لغير موجب، بل بالتأويل في إحداث بدعة في الدين، كالحروريةالتي أمرت الأمة بقتاله، وسماها (الـــنبي ﷺ)مارقة من الدين، وإما لطلب إمارة مع انعقاد البيعة لإمير الجماعة، فإنـــه نكـــث عهد ونقض عقد بعد وجوبه، وقد قال ﷺ: **(من جاء إلى أمتي ليفرق جماعتهم، فاضربوا عنقه كائنا من كان)**.

قـــال: وقد بين ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فروي عن عمرو بن ميمون الأودي، قـــال: قال عمر حين طعن لصهيب: صل بالناس ثلاثا، وليدخل علي عـــثمان وعـــلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن، وليدخل (ابن) عمر في جانب البيت، وليس له من الأمر شئ، فقم يا صهيب على رؤوسهم بالسيف، فإن بايع خمسة ونكص واحد، فاجلد رأسه بالسيف...الخبر.

قـــال الشـــاطبي: وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارجة عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم» انـــتهى من كتاب (الاعتصام)للشاطبي مع اختصار وتصرف، فراجعه إن شئت

في (٢/٧٧٠)وما بعدها.

الحديث الثاني: ما رواه أحمد و مسلم عن عبدالرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبدالله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست إليه فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فترلنا مترلاً فمنا من يصلح خبائه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: **إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكروها وتجيء الفتنة فيرقق بعضها بعضا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**، فدنوت منه فقلت له: أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وأن نقتل أنفسنا والله يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ (النساء: من الآية٢٩)، فسكت عبدالله ساعة، ثم قال: أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله ﷻ.

لنلق الضوء على هذا الحديث ما الذي تضمنه ؟

أولا: كمــال هــدي النبي ﷺ إذ حرص على تعليم الأمة المعاملة إلى جانب العقيدة والعبادة.

ثانـيا: بـيان أن الســلامة في السير على درب من مضى من الصحابة والتابعين وهذا نأخذه من قوله ﷺ (**وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها**) إذاً السلامة والنجاة والرشد والفلاح والسعادة في التمسك بهدي من مضى من الصحابة والتابعين الذين أخذوا الدين من الكتاب والسنة غضا طريا فالصحابة أخذوا عن النبي ﷺ والتابعون أخذوا عن الصحابة.

ثالـثا: التحذير من الفتن فالفتنة تكون في العبادة في المعاملة في العقيدة وأنهـا هـي سبب الضلال فالخوض فيها بغير هدى الكتاب والسنة هو مزلق الأقدام.

رابعـا: وجـوب الإنصاف من النفس لأن بالإنصاف من النفس قوام المعاملـة وهذا مأخوذ من قوله ﷺ (**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتـى إلـيه**) **يعطـي الناس حقوقهم يوفي بالعهد وبالوعد ويصدق الناس الحديث.**

خامسـا: وهـو محل الشاهد وجوب الوفاء للإمام بالطاعة وعلى هذا الحديث بوب الإمام النووي رحمه الله فقال: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فـالأول. وهـنا نحب في الحقيقة أن نلفت النظر إلى أمر عظيم وهو أن بعض

الناس اليوم لا يرى البيعة إلا للخليفة الأعظم، والخليفة الأعظم غير موجود ولا يوجد للناس خليفة فهل يترك الناس فوضى ؟

فالجواب: لا ونرد عليهم من الناحية العقلية هل ترضون أن يكون الناس فوضى يأكل القوي الضعيف ويكون الناس نهبا موزعين أما من الناحية النقلية فلنستمع إلى قول النبي ﷺ (**ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع**) فإمام نكرة في سياق الشرط والنكرة في سياق الشرط من صيغ العموم إذن من كان إماما على المسلمين سواء أكان خليفة أو دون الخليفة وجب الوفاء له والسمع والطاعة.

فأصبحت هذه الشبهة داحضه نقلا وعقلا وسوف يأتي لها مزيد تفصيل في الباب إن شاء الله؛ هذا من أهم ما تضمنه الحديث.

أما قول الشيخ رحمه الله: (لمن تأمر علينا ولوكان عبد حبشي) يشير إلى حديث العرباض بن سارية وغيره مما ورد في هذا الباب وقوله **(فبين الله هذا بيانا شائعاً كافيا بكل وجه من أنواع البيان شرعاً وقدراً)** يشير إلى ما قدمنا التنويه عنه من الكتاب و السنة المتواترة في هذا الأصل العظيم و قد قدمنا مبحثين اثنين، أولهما: فيما يدل لهذا الأصل من آيات الكتاب الكريم والثاني في نصوص السنة وهي تبلغ التواتر.

المبحث الثالث: في النقول عن أئمة السلف في هذا الباب؛ وقد اخترنا ثلاثة منهم

ونبدأ بمن نرى أنه الأقدم، وهو الإمام البربهاري، يقول البربهاري رحمه

الله تعـــالى في كتابه شرح السنة: والسمع والطاعة للأئمة فيما يحبه الله ويرضاه ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين لا يحل لأحد أن يبيـــت ليلة ولا يرى أنه ليس عليه إمام براً كان أو فاجراً والحج والغزو مع الإمام ماض وصلاة الجمعة خلفهم جائزة ويصلي بعدها ست ركعات يفصل بـــين كل ركعتين هكذا قال الإمام أحمد ابن حنبل والخلافة في قريش إلى أن ينْزل عيسى بن مريم ﷺ ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميتته ميتة جاهلية ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جاروا وذلك لقول رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري اصبر وإن كان عبدا حبشيا وقوله للأنصار اصبروا حتى تلقوني على الحوض وليس في السنة قتال السلطان فإن فيه فساد الدنيا والدين[١].

نـــتقل بعد هذا البيان المنهجي في عقيدة أهل السنة والجماعة فيمن ولي أمـــور المسلمين وسواء أكان الخليفة الأعظم أو من دونه من الأمراء ننتقل بعد هذا الذي سمعناه من عالم قديم من علماء الإسلام إلى عالم آخر وهو أبوجعفر الطحاوي مع شرح كلامه لابن أبي العز قوله: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنـــا وإن جـــاروا ولا ندعوا عليهم ولا نترع يدا من طاعتهم ونرى طاعـــتهم مـــن طاعة الله ﷻ فريضة مالم يأمروا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة الشرح: قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من

(١) شرح السنة للبربهاري مسألة ٢٨/٢٣

أطـــاعني فقـــد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطـــاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني) وعن أبي ذر ﷺ قال: إن خليلي أوصاني أن اسمع وأطيع و إن كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف وعند البخاري (ولو لحبشي كأن رأسه زبيبه) وفي الصحيحين أيضا:

(عـــلى المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

وعن حذيفة بن اليمان قال كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنـــت أســـأله عـــن الشر مخافة أن يدركني فقلت: **يا رسول الله إنا كنا في جاهلـــية وشـــر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال: نعم فقلـــت: هل بعد ذلك الشر من خير قال: نعم وفيه دخن قلت: وما دخنه قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر فقلت: هـــل بعـــد ذلك الخير من شر قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إلـــيها قذفـــوه فيها، فقلت: يا رسول الله صفهم لنا قال: نعم قوم من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك قال: تلـــزم جماعـــة المسلمين وإمامهم فقلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال: فاعـــتزل تلـــك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك المـــوت وأنـــت عـــلى ذلـــك**) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رســـول الله ﷺ (**مـــن رأى مـــن أميره شيئا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعـــة شبرا فمات فميتته جاهليه وفي رواية فقد خلع ربقة الإسلام من**

عنقه) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ.

(**خيار أئمتكم الذين تحبوهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضوهم ويبغضونكم وتلعنوهم ويلعنونكم فقلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة**) فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر مالم يأمروا بمعصية فتأمل قول الله تعالى ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ كيف قال (**وأطيعوا الرسول**) ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله وأعاد الفعل مع الرسول ﷺ لأنه من يطع الرسول فقد أطاع الله فإن الرسول ﷺ لا يأمر بغير طاعة الله بل هو معصوم من ذلك وأما أولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا والجزاء من جنس العمل فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل قال تعالى: ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير** ﴾ قال تعالى ﴿ **أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا**

يكسبون ﴾ فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار أنه جاء في بعض كتب الله أنا الله مالك الملك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك لكن توبوا أعطفهم عليكم) [١].

وننتقل إلى ما كتبه علم من أعلام الهدى إمام من أئمة المسلمين وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الجزء الخامس والثلاثين من مجموع الفتاوى الصفحة الخامسة قال رحمه الله تعالى: (أما بعد فهذه قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله في كل حال على كل أحد وأن ما أمر الله به ورسوله من طاعة الله وولاة الأمور ومناصحتهم واجب وغير ذلك من الواجبات، قال الله تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾**، وقال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾** فأمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر منهم كما أمرهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل وأمرهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله والرسول قال العلماء: الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول بعد موته هو الرد إلى سنته، قال تعالى: **﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا**

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية وجوب طاعة ولي الأمر إلا في معصية ج ٢ ص ٥٤٠

اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فجعل الله الكتاب الذي أنزله هو الذي يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام يصلي بالليل يقول (**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**).

وفي صحيح مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة قالوا: لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**).

وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**إن الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**).

وفي السنن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وزيد بن ثايت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه غير فقيه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمور ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**).

ويغل بالفتح وهو المشهور يقال غل صدره فغل إذا كان ذا غش وضغن

وحقد أي قلب المسلم لا يغل على هذه الخصال الثلاث وهي الثلاثة المتقدمة في قوله: (**إن الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**) فإن الله إذا كان يرضاها لنا لم يكن قلب المؤمن الذي يحب ما يحبه الله يغل عليها يبغضها ويكرهها فيكون في قلبه عليها غل بل يحبها قلب المؤمن ويرضاها.

وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**) .

وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**) .

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك**) ومعنى قوله (وأثرة عليك) (وأثرة علينا) أي وإن استأثر ولاة الأمور عليك فلم ينصفوك و لم يعطوك حقك.

كما في الصحيحين عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار خلا برسول الله ﷺ فقال: (ألا تستعملني كما استعملت فلانا فقال: (**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**).

وهذا كما في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ (**إنها تكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها**)، قالوا: يا رسول الله، كـيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: (**تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**).

وفي صـحيح مسلم عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فماذا تأمرنا؟ فأعرض عنه ثم سأله فأعرض ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فحدثه الأشعث بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ (**اسمعوا وأطيعوا فإنما علـيهم ما حملوا وعليكم ما حملتم**) فذلك ما أمر الله به ورسوله من طاعـة ولاة الأمور ومناصحتهم هو واجب على المسلم وإن استأثروا عليه وما نهى الله عنه ورسوله من معصيتهم فهو محرم عليه وإن أكره عليه. انتهى.

وأقول: من خلال قراءة النقول من هذه الكتب يتبين عدة أمور:

الأمـر الأول: كثرة الأخبار الواردة في وجوب طاعة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين.

الأمر الثاني: التحذير من مخالفة هذه السنة فإن في عدم طاعة ولي الأمر فرقه ويترتب عليه مفاسد دينية ودنيوية.

الأمر الثالث: وجوب مناصحة ولاة الأمور وسوف يبين لاحقا إن شاء الله.

الأمـر الـرابع: الدعـاء لولاة أمور المسلمين ودعاء الله لهم بالسداد والصـلاح والإخلاص والنصر والتأييد وأن الدعاء عليهم ليس من عقيدة أهل السـنة والجماعة بل هو سمة من سمات الخوارج وأول من بدأ التحريض على

ولاة الأمـــر في عهـــد عـــثمان رضي الله عنه هم السبأية جماعة عبدالله ابن سبأ اليمني الراســـبي هم الذين حرضوا الناس على أمير المؤمنين حتى قتلوه وأما أول ظهور الخوارج فقد كان في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فالحرورية والخوارج صارا وصفاً لازماً لمن يرى إشهار السيف على أمراء المسلمين إلى اليوم فمن يحرض عـــلى ولاة الأمر ويدعو عليهم ولا يرى البيعة لهم فإن هذا خارجي وإن نفى ذلك عن نفسه.

قال مقيده: وهاهنا ثلاثة أسئلة جديرة بالعناية فتفطن إليها واصغ سمعك إلى جوابها.

السؤال الأول: ما حق الإمام على رعيته؟

السؤال الثاني: ما حق الرعية على إمامها وولي أمرها؟.

الســـؤال الثالث: كيف تصنع الرعية إذا بخسها الإمام حقها أو منعها إياه بالكلية؟.

فللجواب على السؤال الأول نقول:

اعلم أن حقوق الإمام على رعيته عشرة:

أولها: بذل الطاعة له ظاهرا وباطنا في كل ما يأمر به أو ينهى عنه إلا أن يكـــون معصية،وقد أوجب الله ورسوله طاعة ولي الأمر ولم يستثن منه سوى المعصية فبقي ما عداه على الإمتثال.

وثانـــيها: بـــذل النصيحة له سرا وعلانية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **الدين النصيحة قالوا لمن؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.**

قلت ويوضح نصيحة الحاكم ما رواه ابن أبي عاصم وغيره عن عياض بن غـنم أن رسـول الله صلى عليه وسلم قال: **(من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يبدها علانية وليأخذ بيده وليخلوا به فإن قبلها قبلها وإن ردها كـان قد أدى ما عليه)** فلا قول لأحد مع رسول الله ﷺ وكل قول خالف قوله فهو مردود.

وثالـثها: القيام بنصرته باطنا وظاهرا ببذل المجهود في ذلك لما فيه نصر المسلمين وإقامة حرمة الدين وكف أيدي المعتدين.

ورابعهـا: أن يعرف له عظيم حقه وما يجب من تعظيم قدره فيعامل بما يجب له من الاحترام والاكرام وما جعل الله تعالى له من الإعظام ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم ويلبون دعوتهم مع زهدهم وورعهـم وعدم الطمع فيما لديهم وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم فليس من السنة.

قلـت: فلا تغتر بما يرويه بعض أهل الأهواء من تصرفات العز بن عبد السلام مع الحكام المنافية لهذا.

وخامسها: إيقاظه عند غفلته وإرشاده عند هفوته، شفقة عليه، وحفظا لدينه وعرضه وصيانة لما جعله الله إليه من الخطأ فيه.

وسادسـها: تحذيـره من عدو يقصده بسوء، وحاسد يرومه بأذى، أو خـارجي يخاف عليه منه، ومن كل شئ يخاف عليه منه على اختلاف أنواع ذلك وأجناسه، فإن ذلك من آكد حقوقه وأوجبها.

وسـابعها: إعلامه بسيرة عماله: الذين هو مطالب بهم، ومشغول الذمة

بسببهم لينظر لنفسه في خلاص ذمته، وللأمة في مصالح ملكه ورعيته.

قلـــت: وذلك متواتر من فعل أصحاب النبي ﷺ، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها:

(أن رسول الله صلى لله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاهم فيختم بـــ (قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال سلوه: لأي شئ يصنع ذلك فسألوه فقال: لأنها صفة الـــرحمن عزوجل فأنا أحب أن أقرأ بها). فقال رسول الله صلى عليه وسلم أخـــبروه أن الله تعـــالى يحـــبه؛ ومن ذلك قصة عمرو بن العاص حين صلى بأصحابه الصبح وهو جنب و لم يغتسل خشية البرد وهي في السنن.

وثامنها: إعانته على ما تحمله من أعباء الأمة ومساعدته على ذلك بقدر المكـــنة، قال الله تعالى: **(وتعاونوا على البر والتقوى)**. وأحق من أعين على ذلك ولاة الأمور.

وتاسعها: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه، لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام أمور الملة.

وعاشرها: الذب عنه بالقول والفعل، وبالمال والنفس والأهل في الظاهر والباطن، والسر والعلانية.

وإذا وفت الرعية بهذه الحقوق العشرة الواجبة، وأحسنت القيام بمجامعها والمراعاة لمواقعها صفت القلوب وأخلصت واجتمعت الكلمة وانتصرت.

انتهى ملخصا من تحرير الأحكام بتصرف.

أما الجواب على السؤال الثاني:

فنذكرك بأن حقوق الرعية على إمامها عشرة حقوق وهي:

الأول: حماية بيضة الإسلام والذب عنها إما في كل إقليم إن كان خليفة، أو في القطر المختص به إن كان مفوضا إليه، فيقوم بجهاد المشركين ودفع المحاربين والباغين، وتدبير الجيوش، وتجنيد الجنود، وتحصين الثغور بالعدة المانعة والعدة الدافعة، وبالنظر في ترتيب الأجناد في الجهات على حسب الحاجات وتقدير إقطاعهم، وأرزاقهم، وصلاح أحوالهم.

الحق الثاني: حفظ الدين على أصوله المقررة، وقواعده المحررة، ورد البدع والمبتدعين وإيضاح حجج الدين، ونشر العلوم الشرعية وتعظيم العلم وأهله، ورفع مناره ومحله، ومخالطة العلماء الأعلام، النصحاء لدين الإسلام ومشاورتهم في موارد الأحطام ومصادر النقض والإبرام.

الحق الثالث: إقامة شعائر الإسلام: كفروض الصلوات، والجمع والجماعات، والأذان والإقامة، والخطابة، والإمامة، ومنه النظر في أمر الصيام والفطر، وأهلته، وحج البيت الحرام وعمرته.

ومنه: الاعتناء بالأعياد، وتيسير الحجيج من نواحي البلاد، وإصلاح طرقها وأمنها في مسيرهم، وانتخاب من ينظر أمورهم.

الحق الرابع: فصل القضايا والأحكام، بتقليد الولاة والحكام لقطع المنازعات بين الخصوم، وكف الظالم عن المظلوم، ولا يولي ذلك إلا من يثق بديانته وأمانته وصيانته من العلماء والصلحاء، والكفاة النصحاء ولا يدع السؤال عن أخبارهم والبحث عن أحوالهم، ليعلم حال الولاة مع الرعية، فإنه

مسؤول عنهم، مطالب بالجناية منهم.

قال رسول الله ﷺ: **(كل راع مسؤول عن رعيته).**

الحق الخامس: إقامة فرض الجهاد بنفسه،وجيوشه أو سراياه وبعوثه.

الحق السادس: إقامة الحدود الشرعية على الشروط المرعية،صيانة لمحارم الله عن التجرئ عليها، ولحقوق العباد عن التخطي إليها.

ويسوي في الحدود بين القوي والضعيف، والوضيع والشريف.

الحق السابع: جباية الزكوات والجزية من أهلها، وأموال الفئ والخراج عند محلها وصرف ذلك في مصارفه الشرعية، وجهاته المرضية، وضبط جهات ذلك وتفويضه إلى الثقات من العلماء.

الحق الثامن: النظر في أوقاف البر والقربات، وصرفها فيما هي له من الجهات، وعمارة القناطر وتسهيل سبل الخيرات.

الحق التاسع: النظر في قسم الغنائم وتقسيمها، وصرف أخماسها إلى مستحقيها.

الحق العاشر: العدل في سلطانه، وسلوك موارده في جميع شأنه قال تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان)** وقال تعالى **﴿ وإذا قلتم فاعدلوا)**.انتهى ملخصا من تحرير الأحكام بتصرف..

وأما جوابنا على السؤال الثالث: وهو كيف تصنع الرعية إذا بخسها الإمام حقها ...الخ.

فنقول: لا عليك فقد كفيت البيان ممن جعله الله معدن البيان:

فقد أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: قال: رسول الله صلى عليه

وسلم: (**إنها تكون بعدي أثرة وأمور تنكروها قالوا يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك قال: تأدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**).

قال النووي في شرحه على هذا الحديث في صحيح مسلم (١٢/٢٣٢): «هـذا من معجزات النبوة، وقد وقع هذا الإخبار متكررا ووجد مخبره متكررا وفيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالما عسوفا فيعطى حقه من الطاعـة ولا يخرج عليه ولا يخلع بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه».

وأخـرج الإمـام مسـلم في باب: يصبر على أذاهم وتؤدى حقوقهم مـن كـتاب الإمارة والبيعة، عن وائل بن حجر سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعونا حقـنا فماذا تأمرنا؟ فأعرض عنه ثم سأله فأعرض ثم سأله في الثانية أو الثالثة فحدثه الأشعث بن قيس قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم (إسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم).

قـال القرطبي في المفهم (٤/٥٥): «يعني أن الله تعالى كلف الولاة العدل وحسن الرعاية وكلف المولى عليهم الطاعة وحسن النصيحة فأراد أنه إن عصى الأمراء الله فيكم و لم يقوموا بحقوقكم فلا تعصوا الله أنتم فيهم وقوموا بحقوقهم فإن الله مجاز كل واحد من الفريقين بما عمل».

المبحث الرابع: في نصيحة الحاكم:

وإنه مما يجب بيانه تتمة للبحث في هذا نصيحة ولاة الأمور ونصيحة ولاة

الأمور تتضمن عدة مسائل:

المسألة الأولى: ما ورد من الأحاديث النبوية الصحيحة الموجبة للنصيحة.

المسألة الثانية: في كيفية النصيحة لولاة الأمور.

المسألة الثالثة: إيراد شبهات لأهل الشطط والجواب عنها.

المسألة الأولى: وهي الأحاديث المنصف يتبين له بوضوح وجلاء أن الأحاديث الواردة في إيجاب النصيحة لولي الأمر مستفيضة إن لم تكن متواترة ونظراً لكثرتها فقد اخترنا بعضها.

الحديث الأول: حديث تميم الداري ﷺ المعروف المشهور وهو أن رسول الله ﷺ قال: (**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**).

والذي يتمعن في هذا الحديث يجد أن رسول الله ﷺ أوجب النصيحة لخمسة وهم: الله ﷻ وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم فما النصح لأئمة المسلمين؟ ومن هم؟ فالمراد بأئمة المسلمين: هم العلماء والحكام سواء كانوا خلفاء أو أمراء أو نواب الخلفاء وكل من ولي أمرا من أمور المسلمين فله حق في هذه النصيحة ومعنى النصيحة لولاة الأمور طاعتهم في طاعة الله في العسر واليسر والمنشط والمكره والأثرة والدعاء لهم ومشورتهم وشد أزرهم والتعاون معهم على البر والتقوى وفي معنى هذا الحديث وهو:

الحديث الثاني: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الدين**

النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم).

ومعنى الدين النصيحة أي عماد الدين وقوامه على النصيحة فقوله ﷺ: (الدين النصيحة) نظير قوله في الحج: (الحج عرفة) أي عماد الحج أعظم الحج.

الحديث الثالث: حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة فلقنني ما استطعت والنصح لكل مسلم) فأين النصيحة لولاة الأمور من هذا الحديث ؟ هي في قوله: (والنصح لكل مسلم) العموم؛ فولاة الأمور داخلون في هذا العموم، بل النصيحة لولاة الأمور أهم وأعظم من النصيحة لغيرهم من الأفراد لأنه باستقامة ولاة الأمور يستقيم حال العباد والبلاد.

الحديث الرابع: حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **(لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** فأين النصيحة لولاة الأمر ؟ هي في قوله حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه هذا نص في النصيحة أليس الإنسان يحب لنفسه الاستقامة وصلاح الحال والمآل إذن كذلك يجب أن يحب لأخيه ذلك.

وولاة الأمور من المسلمين إخوة.

الحديث الخامس: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا استنصحك فانصح له أو فانصحه، وإذا دعاك فأجبه.... الحديث)

فقوله ﷺ: (**وإذا استنصحك**) أي طلب إليك النصيحة.

فـــولي الأمر إذا طلب النصيحة وجب نصحه من باب أولى لأنه داخل تحـــت قولـــه: حق المسلم فالمسلم اسم جنس وهو صيغة من صيغ العموم لأنه معرف بأل لغير العهد؛ هذه بعض الأحاديث النبوية التي نص فيها الرسول ﷺ على نصح المسلمين عامة وولاة الأمور خاصة.

المســـألة الثانية: كيفية النصيحة، كيف ينصح المسلم ولاة الأمور نقدم بين يدي هذه المسألة أمرين:

أولهما: تعريف النصيحة، **فالنصيحة في اللغة:** مأخوذة من نصح الثوب، أي أصـــلحه وخاطه، فيشبه فعل الناصح مع المنصوح له بفعل من يصلح ثوبه ويســـد خلله فالناصح يسد خللا في المنصوح، وقيل: مأخوذة من نصَّح العسل أو نصَـــح العسل إذا صفاه من العوالق كالشمع، وهنا وجه الشبه إن الناصح يحاول تصفية حال المنصوح برفق.

وفي الإصـــطلاح: إرادة الخـــير للمنصوح بما يصلح حاله هذا هو الأمر الأول.

الأمـــر الثاني: الذي يجب على كل مسلم معرفته وقبوله ـ وعلى طلاب العلم خاصة ـ هو الوقوف عند السنة سواء كانت عبادة أو معاملة فما وردت فـــيه سنة لا يسوغ للمسلم أن يستعمل فيه العقل بل يجب الوقوف عند السنة حـــتى المعاملات مادامت السنة واردة فيها فلا يسوغ للمسلم أن يجانب السنة ويطلب العقل؛ **إذن الأمر الثاني:** هو الوقوف عند السنة سواء أكانت في عبادة أو معاملة لأن بعض الناس قد يقول: هذه معاملات فالأصل في العبادة المنع إلا بنص والأصل في المعاملة الإباحة إلا بنص ولكن نقول: إذا ورد في المعاملة نص

فهل يجوز تجاوزه؟ لا... يعني هذا تكذيب الرسول ﷺ ومن هنا ضل من ضل ووقــع الشطط في معاملة ولاة الأمور من المسلمين لأن القوم غلّبوا العقل على النقل هذا من قديم من عهد الخوارج بقي الآن محور المسألة وهو كيف ينصح ولاة الأمر من المسلمين ؟

أقول: هذا الجانب اعني نصيحة ولاة أمور المسلمين هل الأمر فيه متروك لاجتهادنا وعقولنا أم تولى بيانه الشارع ؟

وإذا كان الشارع الحكيم قد تولى ذلك فما بيانه؟ وكيف ينصح المسلم ولاة الأمور وفق الشرع ؟

نقول: روى ابن أبي عاصم في السنة والإمام احمد في مسنده وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: (**من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يبدها علانية وليأخذ بيده وليخلو به فإن قبلها قبلها وإن ردها كان قد أدى الذي عليه**).

فالحديث دليل على ثلاثة أمور:

أولا: الســرية التامة في المناصحة للحاكم حتى عن أقرب الناس إليه إن أمكن.

ثانياً: براءة الذمة بمجرد النصيحة على هذا الوجه الذي تضمنه الحديث.

ثالــثاً: أنه لا تبعة على من لا يقدر على النصيحة للحاكم سرا لأنه لا تكلف نفس إلا وسعها ولأن هذا الطريق هو ما جاء عن الله على لسان رسوله فلــو رضــي الله للعباد والبلاد غيره لجاء بيانه في الكتاب أو في صحيح السنة فكان لزاما على كل طالب للحق والهدى الوقوف على هذا النص.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في السيل الجرار:

(... ولكنه ينبغي لكل من ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده ويخلو به ويبذل له النصيحة ولا يذل سلطان الله وقد قدمنا في أول كتاب السير هذا أنه لا يجوز الخروج على الأئمة وإن بلغوا في الظلم أي مبلغ ما أقاموا الصلاة و لم يظهر منهم الكفر البواح والأحاديث الواردة في هذا المعنى متواترة ولكن على المأموم أن يطيع الإمام في طاعة الله ويعصيه في معصية الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق). انتهى.

المسألة الثالثة: في الشبهات التي يعرضها أهل الشطط وهي كثيرة جدا لكن نقول: هكذا إذا غلب الهوى يرد الناس إلا من رحم الله سنة صحيحة صريحة ويركبون البدع ويكون الضلال.

فمن الشبهات إنكار أبي سعيد الخدري رضي الله عنه على أمير المدينة مروان ابن الحكم حين قدم خطبة العيد على الصلاة قالوا فجذبه وهذا إنكار علني نقول هذه القصة في صحيح مسلم وغيره ولفظ الحديث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج يوم الأضحى ويوم الفطر فيبدأ بالصلاة فإذا صلى صلاته وسلم قام فأقبل على الناس وهم جلوس في مصلاهم فإن كان له حاجة ببعث ذكره للناس، أو كانت له حاجة بغير ذلك أمرهم بها، وكان يقول (**تصدقوا تصدقوا تصدقوا**) وكان أكثر من يتصدق النساء ثم ينصرف فلم يزل كذلك حتى كان مروان بن الحكم فخرجت مخاصراً مروان حتى أتينا المصلى فإذا كثير بن الصلت قد بنى منبراً من طين ولبن فإذا مروان

يـــنازعني يده كأنه يجرني نحو المنبر وأنا أجره نحو الصلاة فلما رأيت ذلك منه، قلت: أين الإبتداء بالصلاة؟ فقال: لا يا أبا سعيد، قد ترك ما تعلم. قلت: كلا والذي نفسي بيده لا تأتون بخير مما أعلم (ثلاث مرات ثم انصرفا).

قلـــت: لا شك في صحة الحديث كما ترى كما أنه لا شك في ظهور إنكار أبي سعيد على أمير المدينة مروان صنيعه في تقديم الخطبة على صلاة العيد ولكـــن غفل القوم عن أمور في الحديث لو عقلوها لأراحتهم من تلك الشبهة وهي:

أولاً: مـــا معـــنى المخاصرة في قول أبي سعيد فخرجت مخاصراً مروان؟

فالجواب: ما قاله ابن الأثير في النهاية (فخرج مخاصراً مروان) المخاصرة: أن يأخذ الرجل بيد رجل آخر يتماشيان ويد كل واحد منهما عند خصر صاحبه. أ.هـــ

ثانياً: أن عياض بن عبدالله بن سعد راوية أبي سعيد قال: كما في إسناد مســـلم عن أبي سعيد وهذا حكاية من عياض لصنيع أبي سعيد مع مروان من قوله أعني أن أبا سعيد حدثه تلك القصة.

ثالثاً: اكتفى أبوسعيد بتنبيهه مروان إلى السنة وإنكاره عليه مخالفتها فقط بـــل وصـــلى معه و لم يتخذ من مخالفة مروان مجالاً للتشهير والتهييج لعلمه أن ذلك مخالفة لسنة رسول الله ﷺ أعني التشهير بنصح الولاة ولأنه فهم من قول مـــروان كما جاء في بعض طرق الحديث (**أن الناس لا يجلسون لنا**) أنه أي مروان فعل ذلك اجتهادا منه ولعل ما سقنا يظهر لك أمرين:

أحدهمـــا: اتفـــاق صنيع أبي سعيد في هذا الحديث مع حديث ابن أبي عاصم المتقدم.



وثانيهما: أنه ليس من منهج السلف الإنكار على الولاة على المنابر ولا في المحافل العامة بل مشافهة وفي سرية تامة.

الشبهة الثانية: أن المنكرات قد تجاوزت حدها وصارت علانية وهذه الشبهة جوابها من وجهين:

أولهما: أن يقال هل عندكم سنة تقول إذا ظهرت المنكرات يجب إظهار النصيحة والتشهير؟ فالجواب أنه لا توجد سنة بذلك بل السنة عامة بسرية النصيحة وسواء كانت المنكرات ظاهرة أو خفية كما في حديث ابن أبي عاصم المتقدم.

ثانياً: أليس الرسول ﷺ يبلغ عن ربه؟ بلى إذن فلا تتجاوزوا السنة إن كنتم منصفين يجب أن تسعكم السنة وإلا كنتم ضالين مضلين عن الهدى مجانبين للصواب بركوبكم القياس العقلي ووقعتم في نهج الخوارج.

الشبهة الثالثة: قول بعض الناس إنه ليس في رقبتي بيعة لأنه لم يعط الإمام العهد مباشرة.

فالجواب عن هذه الشبهة ننقل ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية قال رحمه الله: (وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمر ومناصحتهم واجب على الإنسان وإن لم يعاهدهم عليه وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة كما يجب عليه الصلوات الخمس والزكاة والصيام وحج البيت... وغير ذلك مما أمر الله به

ورسوله من الطاعة فإذا حلف على ذلك كان ذلك توكيدا وتثبيتا لما أمر الله به و رسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم)[١].

الشبهة الرابعة: إستدلالهم بحديث سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) فالشاهد منه ورجل قام إلى امام جائر) إلى آخره.

ووجه الدلالة منه عند القوم كما زعموا في التشهير بأخطاء الحكام وإعلان مثالبهم على الملاء وذلك من الصدع بالحق عندهم والجواب عما تضمنه هذا الحديث الصحيح بمجموع طرقه وحمله القوم على مازعموه من وجوه. أحدهما : ما جاء في الحديث الآخر عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال : (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن . فإذا ضممت الحديثين إلى بعضهما بان لك أن أمر ذلك الرجل ونهيه ذلك السلطان الجائر كان مشافهة ألا تراه في الحديث الثاني قال: (عند سلطان جائر)؛ وليست العندية هي الخطب التهيجية على المنابر ولا كلمات التحريض في المحافل العامة يوضحه ثاني الأوجه وهو حديث عياض المتقدم (من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يبدها علانية. (الحديث).

الوجه الثالث: ما أمر الله به موسى وأخاه هارون عليهما الصلاة والسلام حين أرسلهما إلى فرعون (**فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** »

(١) مجموع الفتاوي ٣٥/٩.



ألا تـــراه أمر هاذين النبيين بلين الخطاب مع عدوه فرعون الذي لا يعلم أفجر منه في البشر والعلة «لعله يتذكر أو يخشى».



الأصل الرابع:

بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء وبيان من تشبه بهم و ليس منهم وقد بين الله تعالى هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله (**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**)... **إلى قوله قبل ذكر إبراهيم** عليه السلام (**يا بني إسرائيل**) الآية.

ويزيده وضوحا ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البيّن للعامي البليد ثم صار هذا أغرب الأشياء وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون وصار من أنكر ذلك وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

ش / إن هذا الأصل يحتوي على عدة مسائل وحتى يسهل فهمها سنتناولها إن شاء الله مسألة مسألة.

المسألة الأولى: العلم والعلماء ويتطلب البحث في هذه المسألة عرض أمرين:

أحدهما: بيان العلم الذي ينفع الله به صاحبه في العاجل والآجل.

والآخر: من هم العلماء الذين نوه الله بذكرهم ورفع قدرهم وبين فضلهم في كتابه؟ وخير ما يبيّن به هذان الأمران نصوص الكتاب والسنة:

فالعلم المراد هنا: علم الشريعة والفقه في دين الله وأساس ذلك توحيد الله سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وهذا هو أساس الدين الذي

جعلــه الله نوراً للناس وسبيلاً للهداية؛ في آخر سورة الفاتحة تجدون قوله تعالى ﴿**غــير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ فُسّر المغضوب عليهم بأنهم اليهود سموا مغضــوباً عليهم لأنهم لم يعملوا بعلمهم وفُسّر الضالون بأنهم النصارى لأنهم يعبدون الله على جهل وضلال.

والعالم من هو؟ العالم: هو من يفقه الناس في دين الله من كتاب الله ومن ســنة رســول الله ﷺ هو الذي يبين للناس دينهم ويبصرهم من القرآن ومن حديــث النبي ﷺ وفق فهم السلف الصالح **وأما من يأتي الناس بالحكايات و القصص فهذا ليس بعالم** العالم هو الذي **يقول للناس قال الله قال رسوله هذا هو العالم الحق وهو العالم الرباني يعلم الناس صغار المسائل قبل كبارها** يربي الــناس كمــا كــان رسول الله ﷺ مع أصحابه. ومكانة العلم والعلماء قد تضــافرت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن مكانة العلم والعلماء ومن يطلب العلم مكانة عظيمة ويناسب هنا أن نذكر بعض البشائر لمن جلس يطلــب عــلماً من دين الله منها قوله ﷺ (**من سلك طريقا يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**).

ثانــياً: قال ﷺ (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جاريــه أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**) فالحديث قد تضمن ثلاث خصال يستفيد منها المرء بعد مماته كما استفاد منها في حياته فإنه يستفيد ثوابا بعد مماته فما الخصال الثلاث؟ الصدقة الجارية كبناء المساجد حفر الآبار و بناء مــدارس العــلم الــذي ينتفع به، علّم الدين فإذا تعلمت دين الله ما أمكنك

وعلّمت زوجتك وأولادك فإن لك أجر هؤلاء ما تناسلت الأجيال ولو كان مئات السنين. والولد الصالح الذي يدعو له.

وبعد هذه البشائر نستعرض بعض آيات الكتاب وأحاديث نبينا ﷺ في بيان العلم وفضله وفضل العلماء:

فالآية الأولى من سورة آل عمران يقول الحق جل جلاله **﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾** (آل عمران:١٨) فوجه الدلالة من هذه الآية على فضل العلم وأهله أن الله عز وجل جعل أهل العلم شهداء على وحدانيته فالشهود على وحدانيته ثلاثة في هذه الآية الرب جل جلاله والملائكة الكرام وأولوا العلم فقد قرن جل جلاله شهادة العلماء على وحدانيته بشهادته وشهادة ملائكته لأن العالم هو الذي يعرف قدر الله حق قدره ويعرف كيف يعظم الله حق تعظيمه وفي هذا حث لك أيها المسلم على التزود من العلم وسواء كنت صغيرا أو كبيرا.

الآية الثانية: من سورة الزمر يقول الله عز وجل **﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾** (الزمر: من الآية٩) ذكر سبحانه وتعالى في الآية عدة أمور منها الحث على قيام الليل وقيام الليل في الثلث الأخير منه أفضل حين يترل الرب سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا ويدعو عباده هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له هل من سائل فأعطيه سؤاله حتى ينفجر الفجر.

والثاني: أهمية الجمع بين الخوف والرجاء لماذا ؟ لأن الخوف يردع عن محارم الله ومغاضبه والرجاء يطمع في رحمة الله هذا هو أفضل سبيل فالاعتماد

على الخوف وحده هلاك وأخذ الرجاء وحده أيضا هلاك فسبيل النجاة الجمع بين الخوف والرجاء.

الأمـــر الثالـــث: وهو شاهد حديثنا (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) لا يستوون، لا يستوي العالم والجاهل فعليك أيها المسلم أن تتزود من الفقه في دين الله وأقل شيء أن تعرف كيف تؤدي عبادة ربك. هذا بالنسبة للآيات القرآنية وهي غيض من فيض، قليل من كثير.

وأما ما جاء عن نبينا ﷺ من الأحاديث في الحث على العلم وبيان فضله وفضل أهله فهي متواترة تواتراً معنوياً، ونحن نذكر بعضها:

منها قوله ﷺ (**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيئا...**) ما أعظمها من بشارة من دعا إلى هـــدى.. من قول أو فعل علم الناس الهدى فله أجره ومثل أجور من تبعه وأجور أولئك التابعين لا تنقص وعلى العكس من هذا التحذير (ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه لا ينقص من أوزارهم شيئا إلى يوم القيامة) فالجزاء من جنس العمل فالذي يبصر الناس بدين الله ويفقههم فيه ويعلمهم إياه حتى الرجل في أهل بيته له هذه البشارة وهذا الأجر وكذلك من يعـــلم الناس الضلالة والانحراف عن دين الله لأنه وسيلة من وسائل الانحراف فهـــذا عليه وزره وأوزار مثل أوزارهم هذا عدل من الله ﷻ فأهل الإحسان جزاءهم الحسنى عند الله وأهل الإساءة جزائهم السوء عند الله سبحانه وتعالى.

الحديث الثاني: حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله

ﷺ قـال: (**إن الله لا يقـبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**)؛ هذه علامة من علامات الساعة يا عباد الله كـيف يقـبض العلم؟ بموت أهل العلم لا ينتزعه من صدور الناس بل يقبضه بمـوت أهله إذا أليس في هذا حث للمسلمين أن يستكثروا من علم الشريعة ؟ بلى إنه لكذلك فاستكثروا من علم الشريعة تزودوا من فقه دين الله فإذا قبض العـلماء ماذا يكون؟ ينتشر الجهل إذا مات العلماء الأئمة الذين يفقهون الناس في ديـن الله ينتشر الجهال أصحاب القصص والحكايات وهؤلاء يضلون الناس يحللـون ماحرَّم الله ويحرمون ما أحل الله يقلبون الحق باطلاً والباطل حقاً و في الحديث أيضا إشارة إلى توقير العلماء.

إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعا وإنما يقبضه بموت العلماء فالنبي ﷺ قـد أخبر أن وجود العلماء خير وذلك أنه مادام العلماء موجودين فالناس في عافـية وأمـن وطمأنينة وفي راحة و أمن على دينهم لكن إذا ذهب العلماء جـاءت البلايا من أجهل الناس حتى وإن كان معه شهادات عالية إذا لم يكن متسـلحاً بعلم الشريعة فإنه يضل الناس يفسد من حيث يريد الإصلاح وعلى هـذا فـلا يسـوغ للمسلمين أن يحقروا علمائهم أو يجهلوهم أو يغمزوهم بالأوصاف البذيئة مثل هؤلاء علماء شرع لا غير وهؤلاء لا يعرفون واقع الناس وهؤلاء علماء حيض ونفاس سبحان الله العظيم النبي ﷺ يخبر أن العلماء ورثة الأنبياء علماء الشرع ورثة الأنبياء لا علماء الطب ولا الكيمياء ولا الفيزياء ولا الرياضيات ولا الهندسة ولا الفلسفة؛ ورثة الأنبياء الذين حملوا ميراث النبوة هم

علماء الشريعة عالم الشريعة هو الذي يقول للناس قال الله قال رسوله لا يعمد إلى الحكايـــات وقصاصات الصحف والمجلات بحجة أنه فقيه لواقع الأمة وعليه أن يبصر الناس ذلك وهؤلاء هم فقهاء الواقع زعموا.

الحديث الثالث: حديث أبي الدرداء ﵁ وهو في سنن أبي داود وغيره فيه يقول ﷺ (**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع وإن العالم يستغفر له مـــن في الســـماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العـــابد كفضـــل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبـــياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافـــر**) هـــذه الخصـــال تبين غاية البيان فضل العلم وفضل العلماء فيا أيها المســـلمون لا تحقروا مجالس العلم وسارعوا إليها بارك الله فيكم وتزودوا منها فإن العلم ونعني به علم الشريعة هو سبيل الهداية إلى دين الله فكلما تفقهت في ديـــن الله ازدادت خشيتك لله سبحانه وتعالى، وللعلم آداب أو لطالب العلم آداب نذكر بعضها:

١ – **الإخلاص:** تخلص لله ﷻ طلب العلم وتحتسب الأجر عنده.

٢– **الصبر والمصابرة:** لا تمل لا تضجر اصبر تحمل المشقة وما تجده من جهد.

٣ – **العمل:** اعمل بما علمت من علمك فكلما عملت بما علمت ثبت العلم في قلبك.

٤- **ابـــذل ما عندك** من العلم ولو أن تعلم إنسانا الوضوء الصحيح أو الصـــلاة الصـــحيحة ولا تقل ليس عندي من العلم شيء فها أنت قد أديت وبذلت ما في وسعك.

٥- **لا تعجل عليك**: بالحكمة فإذا نصحت لا تيأس فإن الرفق والحلم خير كله يوصل إلى الغايات الحميدة وأما العجلة وضيق العطن فإنها توصل إلى أخطاء ونكبات تجلب على الإنسان مفاسد عظيمة جداً، وإذ قد بينا فيما سبق مكانة العلم وأهله واستدللنا على ذلك بما تيسر من الكتاب والسنة ولا نزال في الحديث عن بيان مضمون الأصل الرابع نبين قدر الإمكان بعض الأحكام التي تتضـــمنها الآيـــات التي أشار إليها الشيخ عليه رحمة الله فإن الآيات التي أشار الشـــيخ إلى أنهـــا تبين مكانة أهل العلم وحال من تشبه بأهل العلم وليس من العـــلماء بـــل هو من الضُّلال المضلين تبدأ من الآية الأربعين من سورة البقرة وتنتهي بالآية الثالثة والعشرين بعد المائة من السورة نفسها وعلى هذا فهي إذا ثلاث وثمانون آية ولو استعرضنا تلك الآيات آية آية مستنبطين ما تضمنته من أحكـــام هي دلالة على أهمية علم الشريعة وما تتضمنه أيضا من التشنيع على المضـــلين ممـــن يتشـــبهون بعلماء الشريعة وليسوا منهم لاستقطب ذلك منا صفحات كثيرة وهاأنذا أعرض ما تيسر من الأحكام.

الآيات بدأها الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ **يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوف بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون** ﴾ (البقرة: ٤٠) وخـــتمها بقولـــه تعـــالى ﴿ **يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَـــيْكُمْ وَأَنِّـــي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس**

شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ﴾ (البقرة:٤٧)

نستعرض بعض ما دلت عليه الآيات:

أولا: تذكير الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل المعاصرين للنبي ﷺ بعظيم النعم التي أنعمها عليهم في زمن موسى ﷺ وهنا قد يقول قائل ما شأن المعاصرين للرسول ﷺ من اليهود وما دخلهم بمن سبق؟ هذا أجاب عنه العلامة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله في تفسيره حيث قال رحمه الله وهو يذكر السر في هذا الخطاب (واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن وهذه الأفعال المذكورة خوطبوا بها وهي فعل أسلافهم ونسبت لهم لفوائد عديدة منها أنهم كانوا يمتدحون ويزكون أنفسهم ويزعمون فضلهم على محمد ومن آمن به فبين الله من أحوال سلفهم التي تقررت عندهم ما يبين به لكل واحد منهم أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق ومعالي الأعمال فإذا كانت هذه حالة سلفهم ـ مع أن المُظَنة أنهم أولى وأرفع حالا ممن بعدهم ـ فكيف الظن بالمخاطبين ؟ ومنها: أن نعمة الله واصلة إلى المتأخرين والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء فخوطبوا بها لأنها نعم تشملهم وتعمهم ومنها أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافل وتتساعد على مصالحها حتى كأن متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد وكأن الحادث من بعضهم حادث من الجميع ومنها أن أفعالهم أكثرهم لم ينكرها والراضي بالمعصية شريك للعاصي إلى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا الله) [1] انتهى.

---

(١) تفسير ابن سعدي١/٦٣

فـــالله ســـبحانه وتعالى ساق هذه النعم وهي نعم كثيرة تضمنتها هذه الآيـــات كتنجية بني إسرائيل من الغرق وإهلاك عدوهم فرعون ومن النعم أن الله ســـبحانه وتعالى من عليهم بالتوبة وكان الواجب عليهم قتل أنفسهم حين عـــبدوا العجل. ومنها: أن الله ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى ومـــنها تفجير الماء من الحجر على يدي موسى صلى الله عليه وسلم فلو كان بـــنو إسرائيل المعاصرون للنبي ﷺ عقلاء لآمنوا بمحمد ﷺ لأن هذا معروف عندهم وكما قال ابن القيم رحمه الله (أركان الشكر ثلاثة:

١-الإقرار بالنعمة باطنا.

٢-التحدث بها ظاهرا.

٣-صرفها فيما يرضي الله تبارك وتعالى.

هذا هو الحكم الأول.

الـــثاني: في ذكـــر فضائح بني إسرائيل مع أنبيائهم تحذيرا لهذه الأمة من ذلـــك لأن الغـــرض من ذكر الصفات الذميمة الخبيثة النهي عنها كما أن فيه تثبيـــت لأمة محمد ﷺ فإن أصحاب محمد ﷺ جنبهم الله مخازي بني إسرائيل فإذا كان بنوا إسرائيل يقولون يا موسى فأصحاب محمد ﷺ يقولون يا رسول الله اللهم إلا ما كان من بعض الأعراب حدثاء العهد بالإسلام أتى من البادية فيقول يا محمد لكن بعد ذلك ما عرف حتى البدوي إذا صحب النبي ﷺ فلم يخاطبه قائلا يا محمد يعرفون قدره ﷺ وأنه رسول الله ﷺ وأن هديه هو الهدى وأن سنته واجبة الإتباع وأنه يبلغ عن الله ﷻ شرعه إلا المنافقين كعبد الله بن

أبي بــن سلول عليه من الله ما يستحق ومن على شاكلته من أهل المدينة زمن الرســول ﷺ فهؤلاء كفار في الباطن لأنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر هؤلاء لا يعدون شيئا ولا يحسبون على الإسلام إلا في الظاهر.

الثالــث: في قوله سبحانه وتعالى ﴿ **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون** ﴾خص أمرين:

أولهمــا: أن واجــب العلماء البيان بالحكمة وليس من شأن أهل العلم الكتمان وفي الخبر من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار.

ثانيهما: أن كتم العلم مع حاجة الناس إليه من خصال اليهود قال بعض السلف: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود لأنهم المغضوب عليهم ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى لأنهم يعبدون الله على جهل.

رابعــاً: حسد اليهود والنصارى واليهود أشد حسدا فكان بنو إسرائيل (الــيهود) يعــرفون مبعث النبي ﷺ ويعرفون صفته لأنه مذكور عندهم في الــتوراة وكــانوا يكاثرون به الأوس والخزرج قبل الإسلام إذا ظهروا عليهم يقولون لا عليكم أنتم انتصرتم علينا سيظهر نبي فنغلبكم وننتصر به عليكم.

ولكــن لما بعث الرسول ﷺ تنكر اليهود وناصبوه العداوة وكان السبق بتوفــيق الله ﷻ للأوس والخزرج سبقوا إلى النبي ﷺ فصاروا يسمون الأنصار جمعهــم الله باســم واحد وهم قبيلتان الأوس والخزرج وكانت الدائرة على اليهود لذا حسدوا يقول الله ﷻ ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْــدِ إِيمَــانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾

(البقرة: من الآية١٠٩) الآية.

وهكـــذا كل عالم يعلم الباطل ويدافع عنه وأهله فإن فيه شبه من اليهود وهو الحسد.

خامساً: في الآية ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (البقرة:١٠٦) فيها إثبات النسخ وأن الله سـبحانه وتعالى له الأمر فهو يشرع للعباد ما يصلح لهم في زمن ثم يرفعه عـنهم وفيها رد على اليهود فإنهم لا يقولون بالنسخ وكان من مقالهم ما بال محمـد يأمر بالأمر اليوم ويرجع عنه في الغد فرد الله عليهم فالشرع شرع الله والعـباد عـباده فهو سبحانه لا يسأل عما يفعل ولا يشرع للعباد إلا ما فيه صـلاحهم في العاجل والآجل وأصحاب محمد ﷺ كانوا يتقبلون أوامره ولا يعترضون عليه كما قال الله ﷻ عن أهل العلم ﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمـنا به كل من عند ربنا** ﴾ فيأمرهم النبي ﷺ بأمر ويأمرهم بغيره ويقولون سمعنا وأطعنا فمن شرح الله صدره للإيمان لا يعارض حكم الله وهذا من عظيم الفقـه في دين الله وتمام الانقياد فمثلا كان في أول الإسلام صيام رمضان فيه التخـيير من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا ثم بعد ذلك أوجـب الله الصيام فقال ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيـنات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ فنسخ بهذه الآية التخيير وتعين وجوب الصيام على كل مسلم عاقل بالغ صحيح مقيم فلم يعترض أصحاب محمد ﷺ فقه في دين الله (**كل من عند ربنا**).

هذه بعض الفوائد التي تضمنها قوله تعالى ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها...** ﴾ فإذا كان الحكم المنسوخ خفيفاً والناسخ ثقيلاً يسمى هذا اختبار الصبر فمثلاً عندما كان الصيام تخييراً ثم صار واجباً أيهما أخف ؟ التخيير أخف فهنا المؤمنون فعلوا الثاني و لم ينازعوا فهذا اختبار صبرهم ولهم من الله الأجر وإذا كان الحكم المنسوخ أثقل من الناسخ فهذا اختبار الشكر مثاله قوله ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعا إلى الحول...** ﴾الآية. فكم عدة المتوفى عنها زوجها حسب ما جاء في الآية؟

إنه عام كامل. وقال في الآية **الأخرى** ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ...** ﴾ الآية المنسوخ أثقل والناسخ أخف، هذا يستوجب من العباد الشكر لله.

السادس: إخبار الله سبحانه وتعالى بهذه الآية ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم** ﴾.

يستفاد منها حكمان: أحدهما: إثبات الوجه لله ﷻ ولكن وجه الله لا نكيفه نؤمن بجميع صفاته ﷻ ولكن لا نقول كيف وجهه ؟ كيف يده؟ كيف رجله؟ كيف عينه؟ لا فالصحابة ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة يؤمنون بصفات الله التي جاءت في كتاب الله أو في سنة النبي محمد ﷺ الصحيحة و لم يبحثوا في كيفيتها يفوضونها إلى الله لأن الرسول ما وصف وجه الله ولا وصف يد الله ولا وصف عين الله ولا وصف رجل الله.

الحكم الثاني: يستفاد من هذه الآية أن المسلم إذا كان على الراحلة في السفر فقبلته في نافلته حيث توجهت به راحلته هذا الحكم فضل من الله عليكم

أيها المسلمون فافقهوا دين الله.

السابع: قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم.. الآية** ﴾ (البقرة: من الآية١٢٠) هذا بيان شدة عداوة هاتين الطائفتين لن يرضوا عن مسلم أبدا حتى يتبع دينهم وهنا في الحقيقة سؤال هل للمسلم أن يستفيد من اليهود والنصارى في الأمور الدنيوية؟ نعم يجوز، ولكن نكن لهم العداوة والبغضاء ونحذرهم فإنهم لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم وهذا بحول الله ومشيئته لن يكون فاللّهم ثبتنا على الحق والهدى واشرح صدورنا لذلك لكن الأمور الدنيوية كتعلم بعض الصناعات وبعض العلوم الدنيوية والتعامل معهم كشراء الأسلحة والإستعانة بهم على غيرهم من الأعداء لمصلحة الإسلام وأهله قد دلت عليه السنة المتواترة الثابتة عن النبي ﷺ ؛ إذن في الدين هم أعدائنا.

هذا بعض ما تضمنته الآيات من أحكام وقد أسلفت أني أختار بعضها فهذه الأحكام لا يعيها إلا من فقه في دين الله وأما أهل الضلال فإنهم لا يعون هذه الأحكام ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون العلم، بقيت فقرة أخيرة وهي ما أشار إليه الشيخ من أن بعض الناس يصف أهل علم الشريعة بأوصاف شنيعة كالزندقة والإلحاد.

أقول: لأن كنا نسمع قديماً ونقرأ ضد السلفية وحملتها من أهل العلم والفقه **من عبارات التجهيل** مثل **طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم** فإنا نسمع اليوم عبارات تجهيلية من نمط جديد ضد علماء السلفية وحملة لواء أهل السنة والجماعة من علمائنا المعروفين بسلامة المعتقد والمنهج

وســعة الفقه وسداد الرأي ومن تلك العبارات (**هؤلاء علماء شرع لكن لا يفقهون الواقع**) ومثل (**ليس عند هؤلاء العلماء إلا فقه الحيض والنفاس**).

وفي مقــابل تجهيل أئمتنا وعلمائنا نسمع ترويج كتب المبتدعة والثناء عــلى المبــتدعة الضلال هذه من إسقاط علمائنا يثنون على الضلال يثنون على الترابي والمودودي والغزالي ويهونون من شأن علمائنا وأئمتنا وما ذلكم إلا لخبث طويتهم ومنهجهم الذي تلقوه من انتماءاتهم الفكرية المنحرفة وإلا فكيف الثناء على الترابي وهو يطعن في النبي ﷺ قائلاً (**الصحابة كانوا يعرفوا أن الرسول عنده أكثر من صفة عند وصفه كده بشر ساكت وعند وصفه نــبي ومــرات يقولــوا ليه كلام القلتوا كده رأي ساكت؟ وإلا وحي لمن يقوليهم رأي يغالطوه**) ويقول مبرراً دعوته للاختلاط بين الرجال والنساء.

(أنا أفتكر واحدة من أسباب عدم طهر المجتمع هو عزل الرجال عن النساء ولذلك بسرعة جداً نجيب العلاج دي علشان تعالج ودي بالمناسبة ما حــتكون خلاف فقهي حتكون خلاف حول الأسباب الاجتماعية هل هذا القول بيودي إلى هذه النتيجة ؟ أم لا [١].

أم كيف الثناء على المودودي وقد قال عن النبي ﷺ:(**إن الله سبحانه وتعالى أمره في سورة النصر بأن يستغفر ربه مما صدر منه في أداء الفرائض ـ أي فرائض نبوته ـ من تقصيرات)** [٢].

---

(١) من شريط لاحدى محاضرات الترابي، راجع الصارم المسلول على الترابي شاتم الرسول.

(٢) انظر دعوة المسلمين في ميزان الإسلام ص ٨٤ للأخ فريد أحمد آل البيت.

أم كـيف الثناء على الغزالي وهو يقول مشيداً بعقيدة الروافض الإمامية وداعياً إليها (**... ولماذا لا توضع أمام الطلاب في الصفوف العليا أو الدنيا صورة صادقة لتفكير الإمامية في الأصول والفروع والسنن المختلفة**).

وقـال في موضـع آخـر (**إن المدى بين الشيعة والسنة كالمدى بين المذهب الفقهي لأبي حنيفة والمذهب الفقهي لمالك أو الشافعي...**) ثم يختم الغـزالي كلامـه بقولـه (**ونحن نرى الجميع سواء في نشدان الحقيقة وإن اختلفت الأساليب**)[1].

فـبعد هـذا الغيض من الفيض مما تحويه كتب هؤلاء الثلاثة **أيصلح أن يوصـفوا بأنهم أئمة مجتهدون ودعاة إلى الله**؟ فالحكم لك أيها القارئ الكريم فلعلـك عرفت **أن الثناء على هؤلاء وغيرهم من دعاة الضلال والانحراف وراءه ركوب الهوى وانتهاج البدعة** وما أحسن ما قاله أبوعثمان النيسابوري كما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية (**من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة) اهـ.**

قلـت: صـدق والله فـيما قال فلو كانت السنة حاكمة على أولئك الواصفين ما كان للمبتدعة الضلال أن تروج كتبهم دعوة إلى التعلق بهم ورفعاً لشأنهم ومكانتهم وانتهاج أفكارهم المنحرفة.

وحـتى تعـلم أيها المسلم أنه لكل قوم وارث وأن مروجة فكر الغزالي وأمـثاله لهـم سلف من المبتدعة يسيرون على منوالهم ننقل لك ما قاله شيخ

---

(١) كتاب وقفات مع كتاب لدعات فقط للاخ محمد بن سيف العجي ص ٦٥/٧١.

الإسلام ابن تيمية عن أولئك السلف الضال؛ قال: رحمه الله في مجموع الفتاوى ج١٢ ص٤٦٧: وبإيـــزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة،كما يجب، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه، وماعرفوه منه قد لا يبيـــنوه للناس بل يكتمونه، ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة، ولا يذمـــون أهل البدع ويعاقبوهم، بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذما مطلقا، لايفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وما يقولـــه أهل البدعة والفرقة، أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة،كما يقر العـــلماء في مواضع الإجتهاد التي يسوغ فيها النزاع، وهذه الطريقة قد تغلب على كثير من المرجئة، وبعض المتفقهة،والمتصوفة، والمتفلسفة،كما تغلب الأولى على كثير من أهل الأهواء والكلام، وكلا هاتين الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة.



الأصل الخامس:

ص: بيان الله سبحانه وتعالى لأوليائه وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله والمنافقين والفجار ويكفي في هذا آية في آل عمران وهي قوله ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله..**﴾ الآية وآية في المائدة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾ وآية في سورة يونس وهي قوله ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل ومن تبعهم فليس منهم يا ربنا نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء.

ش/ إن ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ من التفريق بين أولياء الله المؤمنين وبين غيرهم من المتشبهين بهم وليسوا منهم وهم إما كفار وإما منافقون، أدلة كثيرة منها آيات من كتاب الله ومنها أحاديث ثابتة صحيحة عن النبي ﷺ فالولي هو النصير والقريب والمحب هذه المعاني الثلاثة تتضمنها كلمة الولي فكما أن العدو هو البغيض فالولي هو المحب فالولي قريب ممن يواليه والعدو بعيد منه وسنبدأ في إيضاح هذا الجانب إن شاء الله بشرح ما ذكره المؤلف من الآيات ثم نتبع ذلك بما تيسر لنا من بيان طبقات أولياء الله والأدلة الأخرى أعني أدلة التفريق بين أولياء الله وبين غيرهم من أعداء الله فالناس أيها الإخوة بين قسمين ولي لله وعدو لله لا ثالث لهما.

فالآية الأولى: التي في آل عمران وهي قول الله جل وعلا ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ**

تُحِـــبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
(آل عمران:٣١) فما الذي تضمنته هذه الآية ؟ تضمنت أمورا:

أولاـ ما دليل محبة الله ؟ إنه اتباع النبي ﷺ فمن ادعى محبة الله فإن كان متـــبعاً لمحمـــد ﷺ بفعلـــه أوامره واجتنابه نواهيه فدعواه صحيحة وقوله حق وصدق وإن كان مجانباً سنة نبيه ﷺ فدعواه كاذبة وبهذا يتبين أن الله سبحانه وتعالى قد سدّ كل طريق يزعم الناس أنها توصل إليه إلا طريقاً واحدة فما هي؟

هي اتباع النبي ﷺ هذا هو الأمر الأول.

ثانـــيا- إثبات محبة الله سبحانه وتعالى لمن اتبع نبيه محمد ﷺ (يحببكم الله) ومحـــبة الله صـــفة فعلـــية من صفاته جل وعلا فهو سبحانه وتعالى يحب ويبغض ويرضى ويسخط ويكره ويفرح فصفات الرب سبحانه وتعالى التي دل علـــيها القـــرآن الكريم وصحيح سنة النبي ﷺ يجب الإيمان بها وعدم تشبيهها بصفات المخلوقين فالله يحب أوليائه.

ثالثاـ أن اتّباع محمد ﷺ دليل على أن ذلك الإنسان من أولياء الله فمن اتّـــبَع النبي ﷺ يقف عند أوامره فيعملها ويقف عند نواهيه فيتركها هذه هي ولاية الله الحقة.

رابعـــا ـ الوعد بمغفرة الله تعالى لمن اتّبع رسوله ﷺ وعلى هذا يمكن أن نقول أنه يحصل باتّباع محمد ﷺ ثلاثة مكاسب:

أولها: ولاية الله، وثانيها: محبته، وثالثها: مغفرته.

الآية الثانية: من سورة المائدة **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ**

دينـــه **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ** ﴾ (المائدة:٥٤) هذا جانب آخر من صفات أولياء الله سبحانه وتعالى فالآيةفيها:

أولاـ التهديد: فإن الله سبحانه وتعالى من كمال غناه لا يعجزه أن يجعل مـــن المرتدين بديلا (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه..) معنى هذا أنكـــم إذا رجعتم إلى الكفر فالله سبحانه وتعالى سيأتي بقوم يحبون هذا الدين فـــالدين لا يضيعه الله سبحانه وتعالى الإسلام الذي رضيه للعباد لا يضيعه فإن ضيعه أهله المخاطبون به و تركوه ورجعوا إلى الكفر فسيأتي الله بقوم يكونون أولياء فالمفترض في قريش ومن حولهم أن يقبلوا رسالة محمد ﷺ ويثبتوا عليها هـــذا هـــو المفـــترض في حقهم وهذا هو اللائق بهم والواجب عليهم فإن أبو ورجعـــوا إلى الكفر فإن الله من كمال غناه وقدرته سوف يأتي بقوم يكونون أوليائه فما صفاهم ؟

١ : يحبهم.

٢ـ يحبونه: هذه المحبة محبة العباد لله لازمها قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمـــل بـــالجوارح، إذن هـــي الإيمان يقولون بألسنتهم ويعملون بجوارحهم الطاعات ويعتقدون ذلك بقلوبهم يحبهم ويحبونه لأنهم أولياء الله حملة هذا الدين هذه صفاهم.

٣ـ أذلـــة.. عـــلى من؟ على المؤمنين خاضعون لإخوانهم أهل الإيمان لا يتكـــبرون ولا يفخرون لينوا الجانب على المؤمنين قد يتنازل الواحد منهم عن حقه لأخيه المؤمن ولا يجد غضاضة رحماء بينهم.

٤ـ أعزة على الكافرين أقوياء أشداء على الكفار.

ونظير هاتين الصفتين قوله تعالى ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ فهم فيما بينهم رحماء يرحم بعضهم بعضاً ويلين بعضهم لبعض، يتواضع بعضهم لبعض، لكن على الكفار أشداء أقوياء غلاظ أعزة على الكافرين لا يخضعون للكفار لا يرضون بانتهاك محارم الله لا يصافون الكفار وإن تعاملوا معهم معاملة فهي معاملة دنيوية لكن قلوبهم ليس فيها صفاء ولا موادة ولا لين للكفار.

٥ـ يجاهدون في سبيل الله.

٦ـ لا يخافون لومة لائم يقولون الحق أينما كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة لا تأخذهم في الله لومة لائم لا يعرفون مجاملة أحد لكن يدرؤن بالحسنة السيئة هذه صفات أولياء الله عرفناها من خلال آيتين وهما آية آل عمران وآية المائدة.

الآية الثالثة من سورة يونس وهي قوله تعالى ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ (يونس: ٦٣) لا خوف عليهم مما هم مقبلون عليه في الآخرة لأنهم كانوا مع الله في الدنيا كانوا معه بالاستقامة على شرعه كانوا معه بالصلاح والتقوى ولا هم يحزنون على ما فاتهم فإن الله سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لا ينالهم خوف على ما تركوا في الدنيا ولا ينالهم فزع يوم القيامة فالجزاء من جنس العمل ثم بين صفة أوليائه بقوله ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ فكأن سائلا سأل من

هم يا الله أولياؤك من هم الذين وصفتهم بأنهم أولياؤك ؟ وأنهم لا يحزنون ولا يخافون ؟ من هم؟ هذا السؤال المقدر فجوابه الذين آمنوا وكانوا يتقون، الإيمان والتقوى، والتقوى هي فعل طاعة الله على نور من الله طمعا في رحمة الله وترك معصية الله على نور من الله خوفا من عقاب الله ولها ثلاث مراتب:

أولاـ فعل المأمورات، **ثانيا**ـ ترك المنهيات، **ثالثا**ـ اتقاء الشبهات.

ويدل لهذه المراتب الثلاث حديث النعمان بن بشير (**إن الحلال بين وإن والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات**...) الحديث ففعل المأمورات دليله (**إن الحلال بين**) وترك المنهيات دليله (وأنَّ والحرام بين) واتقاء الشبهات دليله (**وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس**). ثم قال الله تعالى بعدها (**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**...) البشرى في الحياة الدنيا كما روي عنه ﷺ من غير وجه من طرق يشد بعضها بعضا هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له هذه البشرى في الدنيا والبشرى في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذه الآيات التي ذكرها المؤلف.

ونقول إذاً أولياء الله هم كل مسلم ومسلمة هؤلاء هم أولياء الله ولكنهم يتفاوتون في الولاية على قدر تنافسهم في الصالحات بقدر محافظتهم على فرائض الله وبقدر اجتنابهم معاصي الله يتفاوتون في ولاية الله هكذا أهل الإيمان يتفاضلون وأفضل الأولياء الأنبياء والمرسلون ثم أفضل الأنبياء والمرسلين أولو العزم وأولو العزم من هم من الرسل؟ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وأفضل أولي العزم من الرسل من هو؟ هو محمد ﷺ إذاً

محمـــد ﷺ هـــو سيد الأولياء ثم بعد ذلك أصحاب الأنبياء وأفضل أصحاب الأنبياء أصحاب من؟ أصحاب محمد ﷺ وافضل أصحاب محمد ﷺ هم أهل بـــدر وأفضل أهل بدر؟ العشرة المبشرون بالجنة وأفضل العشرة المبشرين بالجنة الأربعـــة الخلفاء وأفضل الأربعة من هو؟ هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه إذاً هو سيد الأمة وإمامها بعد نبيها محمد ﷺ وأفضل الناس بعد الأنبياء رضي الله عنه وأرضاه هذا الذي يؤمن به أهل السنة والجماعة ويدينون الله به والأولياء ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: السابق بالخيرات بإذن الله.

الطبقة الثانية: المقتصد.

الطبقة الثالثة: الظالم لنفسه.

هـــذه الطـــبقات الثلاث انتظمتها آية من سورة فاطر وهي ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾ (فاطر:٣٢).

قـــال ابـــن كثير رحمه الله تعالى: (ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصـــدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى: (فمنهم ظالم لنفسه) وهو المفرِّط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات.

(**ومـــنهم مقتصد**) هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات .

(**ومـــنهم ســـابق بـــالخيرات بـــإذن الله**) وهـــو الفاعل للواجبات

والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾ قال هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر لـه ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب)[1] انتهى.

قلت فكل أمة عجزت عن حمل كتابها ودخل دينها التحريف والتبديل وتفضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة بأن كتابها ودينها يبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها والله ﷻ قال (**ثم أورثنا الكتاب**) هذا تعظيم لشأنه لأن هذا الكتاب الذي هو القرآن مصدق لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه فهو خاتم الكتب كما أن صاحبه محمداً ﷺ هو خاتم الرسل.

أما عباده المصطفون فهم الثلاثة الأقسام كما أسلفنا في كلام ابن كثير.

ولعل (**القسم الثالث**) هو الذي يشير إليه ربنا تعالى في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها لئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) فالحديث دليل على أمور:

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٥٦٢

أولاـ أن أفضل الناس هو من يحافظ على الفرائض ويستكثر من النوافل.

ثانياـ أن حفظ الفرائض والاستكثار من النوافل سبب في محبة الله للعبد ومن أحبه الله فلا تسأل عن حسن عاقبته في العاجل والآجل.

ثالثاـ في الحديث آثار محبة الله على من حافظ على الفرائض واستكثر من النوافل فما هي؟ آثارها أن الله يحفظه في سمعه وبصره ويديه ورجليه يحفظه سبحانه وتعالى فانظر سبل الخير كيف تتابع آثارها على عباد الله ومنها إذا سأل ربه أعطاه وإذا استعاذ به أي اعتصم به واستجار به أعاذه وأجاره فهذه الآيات التي بين الله فيها صفات أوليائه.

وفي الباب آيات أخر فرق فيها سبحانه بين أوليائه وأعدائه فأولاً في سورة المطففين ﴿ **كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٣) كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)** ﴾.

صفات أعداء الله:

أولا: الكفر ـ **ثانيا**: التكذيب بيوم القيامة فلا يسعون لها ولا يعملون لأجلها. ثم بين مآلهم (**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**) لا يرون ربهم كما يراه المؤمنون يوم القيامة الذين يرونه رؤية سرور وتكريم وتلذذ ثم إنهم

لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون.

أمـــا صـــفات أوليائه ؛ فقد ذكرها في الآيات التي بعدها، حيث يقول: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَـرْقُومٌ (٢٠) يَشْـهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِـيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِـزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾ هذه صفات أولياء الله سبحانه وتعالى وفي آخر سورة الفرقان وصفهم سبحانه وتعالى ببضع عشرة صفة منها صفات عملية ومنها صفات اعتقادية بدأها بقوله ﷻ ﴿وَعِبَادُ الـرَّحْمَنِ الَّذِيـنَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْـرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِـالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً (٦٩)﴾.

ثم ختمها بقوله ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ صفات أولياء الله كلها صفات عمل تقرب إلى الله ﷻ بصالح الأعمال ففي هذه الآيات اعظم صفاقم عدم الإشراك بالله هذا من أعظم صفاقم.

وفي سورة الواقعة يفرق الله سبحانه وتعالى بين أوليائه وأعدائه فيقول جل في علاه ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْه مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ **هذان الصنفان من العباد مقربون وأصحاب اليمين أدنى منهم مترلة، يأتي الصنف الثالث وهم أعداء الله** ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله:

(هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم إما أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله) انتهى.

فإذاً أولياء الله يصدق عليهم هذه الأحاديث بالإضافة إلى ما تقدم من الآيات:

أولها قوله ﷺ **(ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار).**

هذه صفات أولياء الله صفات المؤمنين التي بها يجدون حلاوة الإيمان تقديم محبة الله ومحبة رسوله على من سواهما والمعنى أنه وقّاف عند الأوامر

والنواهي يحل ما أحل الله ورسوله ويحرم ما حرم الله ورسوله والصفة الثانية مع بني جنسه من المسلمين يحبهم لله لا للأشخاص بل لله كما في حديث آخر **(من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله ووالى في الله وعادى في الله فقد استكمل الإيمان)** لا يحب للأشخاص يحب لله ﷻ فعلامة المحبة في الله أن المسلم إذا أخطأ صاحبه أو شيخه فإنه لا يتعامى عن خطأه يقول هذا خطأ والصواب كذا أما أصحاب الأهواء من المبتدعة وأصحاب الحزبيات فإنهم لا يرون فيمن يحبونهم إلا الصواب على حد قول القائل:

وإن أنا إلا من غزية إن غوت   غويت وإن ترشد غزية أرشد

ولكن أهل الحق أبداً يردون على المخالف قوله وإن كان المخالف أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وعلى سبيل المثال روى أحمد والطيالسي وأبو داود السجستاني وغيرهم من حديث عبادة ﷺ أنه قيل له يقول أبو محمد إن الوتر واجب قال كذب أبو محمد قال رسول الله ﷺ **(خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة)** الحديث. فهذا صحابي يقول كذب أبو محمد يعني أخطأ، وفي الباب ماروواه محمد بن المثنى، عن عبد الرحمن بن جبلة،عن ثابت بن حزم القطعى، حدثنا عاصم الأحول، قال: جلست إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه، فقلت: لا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض، فقال: يا أحول، أو لا تدرى أن الرجل إذا ابتدع فينبغي أن يذكر حتى يحذر، أورد ذلك الذهبي في السير وغيره من كتبه.

قال مقيده: واعلم هديت إلى مراشد أمورك والصواب في الأقوال

والأعمال أن أئمة الهدى الذابين عن السنة المناصرين لها ولأهلها، سائرون على مثل ما صنعه عبادة بن الصامت رضي الله عنه وقتادة رحمه الله سلفهم وخلفهم فقد روى اللالكائي في شرح أصول الإعتقاد عند أهل السنة:

عـــن إبن عباس رضي الله عنهما قال: « **والله ماأظن أن أحدا أحب إلى الشيطان هلاكا مني اليوم فقيل و كيف ؟ قال: تحدث البدعة في المشرق أو المغرب فيحملها الرجل إلى فإذا إنتهت إلى قمعتها بالسنة فترد عليه**».

وروى أبـــو عـــثمان الصابوني في كتابه القيم «عقيدة السلف أصحاب الحديث وغيره:

أن رجـــلا سأل الإمام مالك رحمه الله فقال ياأبا عبد الله (الرحمن على العـــرش ســـتوى) كـــيف استوى؟ فسكت الإمام مالك ساعة حتى علاه الرحضاء (أي اشتد به العرق). **ثم قال: الإستواء معلوم والكيف غير معقول وفي رواية والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. وما أراك إلى ضالا ثم أمر به فأخرج** ».

وإن قال قائل: كيف نصنع بهذه المقولة التي نسمعها تردد كثيرا من بعض المنتسبين إلى العلم؟ (مامنا إلى راد ومردود عليه)؟

قلنا له هذه عبارة مجملة وإيضاحها من وجهين:

أحدهمـــا: ما اشتهر عن الإمام مالك رحمه الله أنه يقول كلما فرغ من درسه (**كل كلام فيه مقبول ومردود إلا صاحب هذا القبر يعني النبي ﷺ**)

فإذا تأملت هذا الكلام من ذلك الإمام ظهر لك ما يأتي:

أولا – قبول كل ماجاء عن النبي ﷺ وجوبا لأنه المعصوم وقوله الحق وخبره الصدق.

ثانيا – أن كلام غير النبي ﷺ من البشر على ضربين:

أحدهما – مقبول وهو ما وافق قول رسول اله ﷺ، والآخر مردود وهو المخالف له.

الوجه الثاني: ما قاله البربهاري رحمه الله في كتابه النفيس (شرح السنة).

« واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين: أما أحدهما فرجل قد زل من الطريق وهو لا يريد إلا الخير فلا يقتدى بزلته فإنه هالك، وأخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين فهو ضال مضل شيطان مريد في هذه الأمة حقيق على من يعرفه أن يحذر الناس منه ويبين للناس قصته لئلا يقع أحد في بدعته فيهلك ».

قال مقيده: ما أحسن هذا الكلام فالزمه فإنه الميزان القويم والقسطاس المستقيم والنهج الحكيم في التعامل مع المخالفة و المخالف ومحصله أمران:

الأول: ـ رد المخالفة مهما يكن صاحبها.

الثاني: ـ النظر إلى المخالف فإن كان من أهل السنة فإنه لا يتابع على زلته مع رد خطئه وأقول بل تحفظ كرامته وإن كان من أهل البدع والأهواء فإنه يحذر منه ويشنع عليه إذ لا كرامة له عند أهل السنة.

وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام تلميذ شيخ الإسلام إبن تيمية الإمام إبن القيم رحمه الله:□(فمن أنشأ أقوالا وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله لم يجب على الأمة اتباعها ولا التحاكم إليها حتى تعرض على ما جاء به الرسول،فإن

طابقـــته ووافقـــته وشـــهد لها بالصحة قبلت حينئذ، وإن خالفته وجب ردها واطراحها، فإن لم يتبين فيها أحد الأمرين جعلت موقوفة وكان أحسن أحوالها أن يجـــوز الحكم والإفتاء بها وتركه وأما أنه يجب ويتعين فكلا اهـــ. من زاد المعاد الجزء ١ص٣٨.

قـــال مقـــيده: وإيضـــاح هذا القول وما قبله فيما قاله شيخ الإسلام ابـــن تيمـــية في العقيدة الواسطية ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنا وظاهرا اتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال:

علـــيكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة .

ويعـــلمون أن أصـــدق الكلام، كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدي محمدﷺ عـــلى هدي كل أحد ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة لأن الجماعـــة هـــي الإجتماع وضدها الفرقة وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس المجتمعين والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين وهـــم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ماعليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أوظاهرة مما له تعلق بالدين) انتهى محل الغرض.

قلت ويتلخص مما سبق أمور ثلاثة:

أحدها– تعويل اهل السنة في الحكم على الأقوال والأعمال على النص والإجمـــاع، فمن وافق نصا أو إجماعا قبل منه ومن خالف نصا أو إجماعا رد عليه كائنا من كان.

ثانيها ـ حفظ كرامة المخالف إن كان من أهل السنة مع عدم متابعته على زلته.

ثالثها ـ الحذر من البدع وأهلها، ومن الأحاديث المبينة لصفات أولياء الرحمن قوله ﷺ (**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً**).

هذه الولاية التي دل عليها الكتاب والسنة ولاية الله طاعته ومحبته و فعل أوامره واجتناب نواهيه إحلال ما أحل الله ورسوله وتحريم ما حرم الله ورسوله هذه الولاية عند أهل السنة والجماعة، وأما عند الصوفية فهي طاعة الشيخ والتسليم له فيما يأمر به وينهى عنه وفيما يحله ويحرمه لأنه معصوم ويحدث عن ربه زعموا وهذا محض الغلو والإطراء.

وأما قول المصنف ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لابد فيهم من ترك اتباع الرسل ومن تبعهم فليس منهم يا ربنا نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء.

قلت: **فكثير من الذين يظن الناس أنهم علماء وأنهم دعاة إلى الله ﷻ يصل بهم الأمر إلى ترك ما جاءت به الرسل من نوح إلى محمد ﷺ** لهذا سادت عندهم عبادة أهل القبور والذبح والنذر لهم ودعائهم من دون الله ﷻ والغلو فيهم حتى انهم يرفعونهم فوق منزلة النبي ﷺ هذا من الغلو الذي حرمه الله ورسوله ﷺ فالولاية الصحيحة السديدة فعل ما أمر الله به ورسوله وأساسه

إخـــلاص التوحيد لله وترك ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ وأعظمه الشرك بالله وسواء كان شركا في الربوبية أو العبادة أو الطاعة أو غير ذلك.

* * *



الأصل السادس:

رد الشـبهة الـتي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة وهي أي الشبهة التي وضعها الشيطان هي أن القرآن والسنة لا يعرفها إلا المجتهد المطلق والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصاف لعـلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عـنهما فرضا حتما لا شك ولا إشكال فيه ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق وإما مجنون لأجل صعوبتهما سبحان الله وبحمده والأمر برد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات للعامة ولكن أكثر الناس لا يعـلمون ﴿ **لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَـدّاً وَمِـنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الـرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ** ﴾ آخره والحمد لله رب العالمين وصـلى الله عـلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

ش / قوله: رد الشبهة التي وضعها الشيطان... الخ.

تلك شبهة تلقاها شيطان الأنس عن شيطان الجن لماذا ؟

لترك القرآن والسنة لبسا للحق بالباطل والهدى بالضلال والإيمان بالكفر

وهـــذه الشـــبهة الشيطانية طريقة أهل الأهواء من المبتدعة كالصوفية الحلولية والرافضـــة ومـــن لـــف لفهم وسلك سبيلهم الملتوية من الأشاعرة و الجهمية والمعـــتزلة ومن وافقهم يحولون دون الناس وسنة النبي ﷺ بأوجه متعددة ومن تلك الأوجه أن لهذه النصوص القرآنية والنبوية ظاهرا وباطنا فإذا سمع ضعاف العقـــول ومن لا علم عنده هذا الأمر فإنه يقع في نفسه أنها لها ظاهر وباطن، وأنـــه لا يدرك إلا الظاهر والباطن لا يدركه. ومنها أن هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية لا يتأتى العمل بهما إلا للمجتهد المطلق وهذا وجه آخر من صرف الناس عن القرآن وسنة النبي ﷺ حتى تعطل السنة.

شروط المجتهد المطلق:

ولا بـــد في الحقيقة هنا أن نعرج على شروط المجتهد المطلق التي وضعها عـــلماء الأصـــول فنقول أولاً من المجتهد المطلق؟ المجتهد المطلق هو العالم الذي يستفرغ وسعه بالنظر في الأدلة حتى يحصل له الظن أو القطع بحكم شرعي هذا هـــو المجتهد المطلق الذي يبحث عن الحق بدليله والمجتهد المطلق له شروط عند علماء الأصول منها سلامة المعتقد وجودة التحقيق والنظر ومنها علم ما يصلح من النصوص للاستدلال على ما يستنبطه من الأحكام أي يعرف النص الذي يناســـب الحكم ومنها علم ما يحتاج إليه من اللغة العربية ومنها معرفة الناسخ والمنســـوخ حتى لا يفتي بالمنسوخ ويدع الناسخ ومنها معرفة مسائل الإجماع والخلاف حتى لا يفتي بخلاف الإجماع.

هذه الشروط جعلها الأصوليون للمفتي الذي ينصب نفسه للناس ليفتيهم ولم يجعلوهـــا للداعـــية الـــذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فالذي يأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر يكفيه علمه بما يأمر به وينهى عنه يعني يعلم أن ما يأمر به معروف وما ينهى عنه منكر ولا يشترط فيه تلك الشروط فلعله اتضح الآن الفرق بين العالم المجتهد وبين الداعية الذي يأمر الناس وينهاهم فالعالم المجتهد أو المفتي هو الذي تشترط فيه هذه الشروط هذا هو المجتهد المطلق مفت على مستوى العامة والخاصة والناس ينتابونه من كل مكان ويصدرون عن فتواه هذا هو الذي تشترط فيه هذه الشروط شروط المجتهد المطلق.

فإذاً اتضح أن العمل بالقرآن والسنة توضع في سبيله عراقيل ومنها بالإضافة إلى ما تقدم أن السنة ليست كلها صحيحة فمنها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف والقرآن مقطوع بصحته هذا تلبيس إبليس وبناء على هذا القول فالسنة ليست صالحة للعمل بها كالقرآن فالجواب على هذه الشبهة الإبليسية في غاية الوضوح نقول نعم السنة منها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف لكن هل هي مختلطة أم متميزة؟ نعم إنها متميزة ميزها علماء السنة ودونت الدواوين في بيان الصحيح من الضعيف بل والموضوع فالسنة ليست مختلطة بل هي محفوظة في الدواوين وكشف العلماء ما خالط السنة من الدس والكذب فأبانوا ذلك كله فلم تعد السنة مختلطة فيجب العمل بالسنة الصحيحة.

أسس ينبني عليها العمل بالسنة: ومن المناسب هنا أيها الأخوة أن نذكر قواعد أو أسس ينبني عليها العمل بالسنة ولعلنا لا نستطيع الإحصاء فنذكر بعض القواعد والضوابط والأسس التي يتبعها من يريد العمل بالسنة.

القــاعدة الأولى: الإيمان الجازم بأن السنة أحد الوحيين كما قال ﷺ (**ألا إني أوتيــت القــرآن ومثله معه**) فالسنة وحي من الله إلى رسوله ﷺ والعمل بالسنة عمل بالقرآن ورد السنة رد للقرآن.

القــاعدة الثانية: اعتقاد عصمة السنة تبعا لعصمة قائلها ﷺ ولعله من الأدلة على ذلك قوله تعالى ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ فالســنة معصومة وما وقع من خطأ ردت به بعض الأحاديث فليس ذلك من رســول الله ﷺ بل من بعض الرواة فرد الحديث يرجع إلى سببين إما طعن في الراوي أو سقوط في السند وكل ذلك أبانه علماء الإسلام.

القــاعدة الثالثة: وجوب التحري في نسبة الحديث إلى رسول الله ﷺ فلا يجوز لمسلم نسبة حديث إلى النبي ﷺ حتى يصح ومن القواعد الحديثية أن للحديــث الصحيح شروطاً وهي ما اتصل سنده برواية العدل تام الضبط عن مثله من غير شذوذ ولا علة هذه شروط الحديث الصحيح.

القــاعدة الرابعة: وجوب التسليم لما صح عن النبي ﷺ وإن لم يدركه العقل.

القــاعدة الخامسة: فقه سنة النبي ﷺ ومن ذلك حمل العام على الخاص والمطلق على المقيد والمجمل على المبين والجمع وذلك عند التعارض وهذا نعرف تلبــيس أهل الباطل في رد سنة النبي ﷺ فأصبحت لعبة مكشوفة وقولا زائفا ولكــن أصــحاب الأهــواء يغلبون العقل على النقل وهذا هو سبب الضلال واســتحكام الهــوى والشــهوة وركوب البدعة ونبذ السنة فنسمع عن أحد الكــتاب المعاصرين في حديث الذبابة يقول (**إنه يأخذ معناه من طبيب كافر**

وليس بحاجة أخذه عن النبي ﷺ) هذا هو صنيع المدرسة العقلية الفلسفية يرد حديثاً صحيحاً ثابتاً عن النبي ﷺ، وفيه بيان علة الغمس (غمس الذباب في الإناء) يقول ﷺ: (**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء**).

قال الحافظ رحمه الله في الفتح على شرح هذا الحديث: .... (وقال الخطابي تكلم على هذا الحديث من لا خلاق له فقال كيف يجتمع الشفاء والداء في جناحي الذباب وكيف يعلم ذلك من نفسه حتى يقدم جناح الشفاء وما ألجأه إلى ذلك ؟ قال وهذا سؤال جاهل أو متجاهل فإن كثيراً من الحيوانات قد جمع الصفات المتضادة وقد ألف الله بينها وقهرها على الاجتماع وجعل منها قوى الحيوان وإن الذي ألهم النحلة اتخاذ البيت العجيب الصنعة للتعسيل فيه وألهم النملة أن تدخر قوتها أوان حاجتها وأن تكسر الحبة نصفين لئلا تنبت لقادر على إلهام الذبابة أن تقدم جناحاً وتؤخر آخر. وقال ابن الجوزي: ما نقل عن هذا القائل ليس بعجيب، فإن النحلة تعسل من أعلاها وتلقي السم من أسفلها والحية القاتل سمها تدخل لحومها في الترياق الذي يعالج به السم ...) [1] انتهى محل الغرض.

وقيل له: كيف تنكر نزول المسيح وأحاديثه متواترة ؟

قال: إنه لم ينكرها لسندها لكن لأنها تخالف العقل.

والمفترض في المسلم كما ذكرنا في القواعد عند تعارض العقل والنقل

---

(١) الفتح كتاب الطب، باب اذا وقع الذباب في الأناء ٢٥٢/١٠

تقـديم النقل على العقل بل إن العقل السليم لا يعارض الحديث الصحيح لأن شأن المسلم هو التسليم لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ.

ومـن هـذه الشبة الخبيثة ما يسمع دائما أهم يقولون **في الدين قشور ولـباب** انظروا الإحداث في دين الله كان السلف يقولون الأصول والفروع وهـؤلاء يقولـون القشور واللباب بل يحملون على أهل السنة فيقولون أهم يتمسكون بالقشور فاصبح الدين عندهم فيه قشور ولباب والقشور مآلها النبذ والترك.

إذاً هـذه بعض الشبه التي جعلها أهل الضلال وأهل البدع من الصوفية والحزبيين تمييعا لسنة النبي ﷺ وردا للسنة وردا للقرآن لأن رد السنة رد للقرآن في الحقـيقة كـيف ذلك ؟ لأن الله ﷻ قال في القرآن ﴿ **وما آتكم الرسول فخـذوه وما هاكم عنه فانتهوا** ﴾ ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إلـيهم** ﴾. فمعـدن بيان كتاب الله إلى من؟ إلى رسول الله ﷺ إلى سنته ﷺ فسنته ﷺ تفصل مجمل القرآن وتقيد مطلقه وتخصص عمومه وقد تنسخه وقد تزيد حكما على ما في القرآن.

وشـأن المسـلم عدم التفريق بين القرآن والسنة فما جاء عن النبي ﷺ مقـبول عند جميع أهل السنة والجماعة كما جاء عن الله سبحانه وتعالى ولهذا نذكـر في الحقيقة كلمة ذهبية للإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله يؤثر عـنه أنه قال (**آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله**) وعن الإمام مالك رحمه الله لما سـئل عـن الاستواء عرف التكلف وعرف التنطع وعرف أن هذه من شبه

الشيطان كيف استوى قال: (**الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعه**) هكذا عرف السلف قدر سنة النبي ﷺ كما عرفوا قدر القرآن الكريم وعملوا بهما قالوا آمنا به كل من عند ربنا و لم يضعوا هذه العراقيل وهذه أمور كلها محدثات والسبب في ذلك هو تقديم العقل واستعمال الفلسفة والمنطق **وأما اليوم فقد جد على الساحة بلايا أظن لو أن ابن القيم رحمه الله كان حياً لعدها طواغيت جديدة منها المصلحة**، المصلحة تقتضي أن يبقى كل إنسان على ما هو عليه ولا يعدل أحد عن رأيه ما دام الجميع مسلمين كل له اجتهاده ولهذا قال قائلهم **نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه**. لو غربلت المسلمين غربلة ونخلتهم نخلاً لوجدت أنهم لم يجتمعوا إلا على لفظ لا إله إلا الله محمد رسول الله يعني لو عملت منظاراً صحيحاً لواقع المسلمين لوجدتهم فقط مجتمعين على ماذا؟

لوجدتهم مجتمعين على لا إله إلا الله لفظاً دون المعنى والعمل فمنهم القبوري وفيهم الرافضي منهم الصوفي الحلولي إلى غير ذلك فإذا على هذه المقولة الخبيثة يكفي قول لا إله إلا الله محمد رسول الله فالصوفي الحلولي الذي يقول **ما في الجبة إلا الله**.

والرب عبد والعبد رب ليت شعري من المكلف

وكذا الرافضي والقبوري على حد سواء لا فرق بينهم وبين المسلم السني خالص التوحيد لأن الكل مجمعون على قول لا إله إلا الله لفظا.

تفسير الآيات خاتمة الأصل:

قوله ﴿ **لقد حق القول على أكثرهم...** ﴾ إلى آخر الآيات.

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى قوله (**لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون**) أي نفذ فيهم القضاء والمشيئة أنهم لا يزالون في كفرهم وشركهم وإنما حق عليهم القول بعد أن عرض عليهم الحق فرفضوه فحينئذ عوقبوا بالطبع على قلوبهم وذكر الموانع من وصول الإيمان لقلوبهم فقال: ﴿ **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا** ﴾ هي جمع غل والغل ما يغل به العنق فهو للعنق بمنْزلة القيد للرجل.

وهذه الأغلال التي في الأعناق عظيمة (**فهي**) قد وصلت إلى (الأذقان) قد رفعت رؤوسهم إلى فوق (**فهم مقمحون**) أي رافعوا رؤوسهم من شدة الغل الذي في أعناقهم فلا يستطيعون أن يخفضوها.

﴿**وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا** ﴾ أي حاجزا يحجزهم عن الإيمان (**فأغشيناهم فهم لا يبصرون**) قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم فلم تفد فيهم النذارة.

﴿ **وسواء عليهم ءأنذرهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ وكيف يؤمن من طبع الله على قلبه ورأى أن الحق باطل والباطل حق.

والقسم الثاني: الذين قبلوا النذارة وقد ذكرهم الله بقوله: (**إنما تنذر**) أي إنما تنفع نذارتك ويتعظ بنصحك (**من اتبع الذكر**) أي من قصده اتباع الحق وما ذكر به (**وخشي الرحمن بالغيب**) أي من اتصف بهذين الأمرين القصد

الحســـن في طلب الحق وخشية الله تعالى فهم الذين ينتفعون برسالتك ويزكون بتعلـــيمك ومـــن وفق لهذين الأمرين (**فبشره بمغفرة**) لذنوبه (**وأجر كريم**) لأعماله الصالحة ونيته الحسنة)[١] أ.هـــ

قلت: وبهذا الكلام الجيد النفيس من شرح الشيخ رحمه الله تظهر مناسبة استشهاد المؤلف رحمه الله بهذه الآيات وجعلها ختاماً لهذا الأصل.

تم بحمد الله وتوفيقه جمع ما تيسر لنا استنباطه من الفوائد من الستة الأصول العظيمة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) تفسير ابن سعدي ٤/٢٨٨

فهرس الموضوعات

مقدمة الطبعة الأولى ٥
مقدمة الطبعة الثانية ٧
ترجمة موجزة عن حياة الإمام محمد بن عبد الوهاب ٩
الأصل الأول (الإخلاص) ١٨
الأدلة على وجود الإخلاص والتحذير من الشرك من القرآن ٢٠
الأدلة على وجوب الإخلاص والتحذير من الشرك من السنة ٢٣
الكلام على جمل من هذا الأصل ٢٥
الأصل الثاني (الأمر باللإجتماع على الدين) ٢٧
معنى الأمر والنهي ٢٧
الأيات الدالة على وجوب الإجتماع في الدين ٢٨
الأحاديث الدالة على الأمر بالإجتماع على الدين ٣٣
دلالة قول المصنف (ثم لما صار ......إلخ) ٣٥
الأصل الثالث (السمع والطاعة) ٣٨
تمهيد يتضمن شرح أهمية هذا الأصل ٣٨
المبحث الأول (الآيات المختارة في الموضوع) ٤٠
وفيه قول نفيس للآجري رحمه الله ٤١
المبحث الثاني (السنة الواردة في الموضوع)؛ وفيه حديثان ٤٦
الأول حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ٤٦
سؤال هام جدير بالإجابة ٤٧

الثاني – حديث عبد الرحمن بن عبد الكعبة قال دخلت المسجد ٥٠
المبحث الثالث نقول عن أئمة السلف في هذا الباب ٥٢
قول البربهاري..................٥٣
قول الطحاوي مع شرحه لإبن أبي العز ٥٣
قول ابن تيمية ٥٦
أمور مستنبطة من هذه النقول..................٥٩
ثلاثة أسئلة جديرة بالعناية..................٦٠
الجواب على السؤال الأول..................٦٠
الجواب على السؤال الثاني ٦٣
الجواب على السؤال الثالث ٦٤
المبحث الرابع (نصيحة ولي الأمر)..................٦٥
الأحاديث الواردة في إيجاب النصيحة ٦٦
كيفية النصيحة ٦٩
شبهات وجواب عنهما..................٧٠
الأصل الرابع (بيان العلم والعلماء) ٧٥
أيات وأحاديث في بيان فضل العلم وفضل العلماء..................٧٧
آداب طالب العلم..................٨٠
بعض الأحكام التي تضمنتها آيات البقرة ٨١
حول الثناء على المبتدعة وكشف بعض ضلالاتهم..................٨٨
كلام الشيخ الإسلام ابن تيمية يُعلم به أن لكل قوم وارث..................٨٩
الأصل الخامس (الفرق بين أولياء الله واعدائه)..................٩١

تعريف الولي.. ٩١

التعريف بين أولياء الله وبين غيرهم من أعداء الله........................... ٩١

طبقات الأولياء.. ٩٦

منهج أهل الحق في الرد على المخالف....................................... ١٠١

نماذج من ذلك

حديث عبادة بن الصامت.. ١٠١

حكاية عن عاصم الأحول.. ١٠١

ماروواه اللالكائي عن ابن عباس.. ١٠٢

ماروواه ابو عثمان الصابوني عن الإمام مالك................................. ١٠٢

جواب عن مقولة (مامنا إلا راد ومردود عليه)من وجهين.................. ١٠٢

الوجه الأول وفيه قول الإمام مالك وحاصله أمران.......................... ١٠٢

الوجه الثاني وفيه قول للبرهاري (واعلم ان الخروج عن الطريق على وجهين..إلأخ)..١٠٣

محصله.. ١٠٤

الأصل السادس (رد الشبهة التي وضعها الشيطان)......................... ١٠٧

شروط المجتهد المطلق... ١٠٨

أسس ينبني عليها العمل بالسنة.. ١٠٩

كلام الحافظ ابن حجر على حديث الذبابة..................................... ١١١

تفسير الأيات خاتمة الأصل.. ١١٤

الفهرس.. ١١٦